دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلّد 37، العدد 2، 2010

عبد الرحمن الكواكبي ومنهجه في العقيدة

*محمد أحمد الحاج محمد**

ملخـص

يلقي هذا البحث الضوء على عقيدة عبد الرحمن الكواكبي، أحد زعماء الإصلاح في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ويقدم تصوراً عن شخصيته وعصره وأثر ذلك في منهجه العقَدي، ويبرز الجوانب التي ركز عليها الكواكبي أثناء مناقشته لمسائل العقيدة، لاسيما الدعوة إلى الالتزام بمنهج السلف الصالح، وهو منهج أهل السنة والجماعة، والابتعاد عن عقائد الِفَرق المنحرفة كالجبرية والقَدرية والمشبهة والمعطلة، مشيراً إلى حالة الضعف والانحطاط التي تعتري الأمة، بسب كثرة الطرق الصوفية وانتشار البدع والخرافات وغلبة الجهل على الناس في ذلك العصر، ودخول الشرك إلى عقائد المسلمين، جراء الابتعاد عن العلم والفهم الدقيق لحقائق العقيدة. ويخلص الباحث إلى أن الكواكبي حلل أسباب فتور المسلمين وانحطاطهم، وأنه أرجع ذلك لابتعادهم عن عقيدة الإسلام الصافية، وأنه حدد عوامل نهوضهم وتقدمهم بالتمسك بثوابت الإسلام، والأخذ بالمنهج العقلي في تناول العقيدة الإسلامية بوسطية واعتدال، لجمع أبناء الأمة على التوحيد، والابتعاد عن التفرق والتشرذم المذهبي.

الكلمـات الدالـة: المنهج، العقيدة، أهل السنة والجماعة، الجبرية، القدرية، المشبهة.

المقدمـــة

يعد عبد الرحمن الكواكبي من مفكري بلاد الشام الإسلاميين الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عصر انبعاث القوميات، وكان لنشأته وتربيته في بيئة دينية دور في تكوينه الثقافي والعلمي، وفي بروز شخصيته واشتهارها، وتصديه للمفاسد الاجتماعية وللفهم الخاطئ لمبادئ الإسلام من قبل تيار التصوف واسع الانتشار في المجتمع الشامي وفي كافة أرجاء الدولة العثمانية ذات الولاية السياسية والدينية على بلاد الشام آنذاك، حيث تدعم هذه الدولة التصوف وتشجعه، ولهذا حمل الكواكبي لواء الدعوة إلى العقيدة الإسلامية الصافية وتنقيتها من الشوائب والمظاهر والقشور التي ألحقها المتصوفة وعوام الناس بعقيدة الإسلام وعبادته ومبادئه، وعدوها جزءاً من الدين، وهي ليست منه في شيء، كما دعا الكواكبي إلى الالتزام بالكتاب والسنة، والسير على سنن السلف الصالح، ونبذ البدع والخرافات والعادات الدخيلة على عقيدة الإسلام وتشريعاته ونظمه، ولأجل هذا وجد الكواكبي نفسه في مواجهة السلطات العثمانية في مدينة حلب، ثم في مصر التي ارتحل إليها لينجو بنفسه من الملاحقة والمطاردة، كما وجد نفسه في مواجهة مع بعض المتمسحين بالدين، ومن بعض الحساد والمنافسين، عدا عن توجيه بعض الاتهامات إليه والتشكيك في عقيدته وسلوكه ونقاء فكره وفي مواقفه جراء خلافه مع السلطات الحاكمة، حتى وصف نتيجة تصلبه و تهجمه على الدولة العثمانية والموالين لها ممن يحسبون على العلماء والمفكرين، بأنه من المتشددين دينياً والمتحيزين قومياً ضد العثمانيين، إذ يعتبرهم مغتصبين للخلافة وحكاماً غير شرعيين لبلاد الشام وغيرها من البلاد العربية، وبالتالي دعا إلى خلافة عربية معتبراً العثمانيين غير أكفاء لحمل راية الخلافة الإسلامية، لهذا كله فإن هذا البحث يركز على عقيدة الكواكبي، لأنها الأساس والدافع له في كافة مواقفه على المستوى الديني والاجتماعي والسياسي، ولأن هذه العقيدة مثار جدل وخلاف بين المفكرين والكتاب الذي تحدثوا عن الكواكبي، وعرضوا مواقفه وآراءه، كما يعالج هذا البحث منهج الكواكبي وأسلوبه في أخذ العقيدة وتناول مسائلها وتفاصيلها.

فرضية البحث

ينطلق هذا البحث من فرضية أن عبد الرحمن الكواكبي يقدم رؤية ذات معالم واضحة في تناول العقيدة، يبسط فيها تصوراته للمسائل العقَدية على مذهب أهل السنة، ثم يعرض لعقائد بعض الفرق الإسلامية وعقائد الديانات الأخرى، وأن

* كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن. تاريخ استلام البحث 2007/10/18، وتاريخ قبوله 2009/5/26.

رؤيته للعقيدة يداخلها تصورات فلسفية يبدو فيها التأثر واضحاً بالفلاسفة والمفكرين الغربيين، ويولي العقل دوراً في محاكمة الأمور ومناقشة ركائز العقيدة وجوانبها.

مشكلة البحث

الكواكبي شخصية جدلية تباينت الآراء حولها، وقد قدّم آراء وتوجهات عدة في مجال العقيدة تحتاج لمناقشة وتحليل، ومن ثم التعرف عليها واستجلاء حقيقتها وكشف جوانبها ومجالاتها.

تساؤلات البحث:

1- هل لعائلة الكواكبي وانتمائه الأسري ولنسبه دور في تكوينه العقائدي والفكري وفي توجهه لمذهب محدد في العقيدة؟
2- ما مدى تأثر الكواكبي بشيوخه وأساتذته في الأخذ بالمنهج الذي اتبعه في تناول العقيدة؟
3- إلى أي حد انطبع الكواكبي بالبيئة العلمية وبالعصر الذي عاش فيه في مسلكه تجاه الفرق والمذاهب العقائدية التي تعرض لها في كتاباته؟
4- ما أبرز ملامح عقيدة الكواكبي التي يمكن استقراؤها من آرائه وكتاباته؟

منهج البحث

اعتمد الباحث في إعداد هذا البحث على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، بحيث يتمكن من خلال المنهج الأول من الوقوف على الأحداث والوقائع المتعلقة بالبحث، ومتابعتها ورؤية حركتها التاريخية في الماضي والحاضر، والربط بينها، ورسم صورة متكاملة عن عقيدة الكواكبي وتفسير وتحليل مواقفه، ومعرفة أثر البيئة المحيطة به في تشكل فكره وقناعاته.

وبالنسبة للمنهج الوصفي يستطيع الباحث عبر معاييره وأسسه مقابلة الآراء والأحداث وجوانب الموضوع المتعددة بعضها ببعض، وكشف توجهات الكواكبي عند مناقشة مسائل العقيدة، ومن ثم بيان العلاقة بين فرضية البحث وجزئياته، والبرهنة على دقة الفرضية وصحتها من خلال التطبيق على الوقائع والأحداث التي يعالجها البحث، لإعطاء تصورات ونتائج أقرب ما تكون إلى الحقيقة.

الفصل الأول
(الكواكبي: حياته وعصره)

قبل الحديث عن عقيدة الكواكبي ومنهجه في تناول مسائل العقيدة، لا بد من إلقاء نظرة سريعة تعريفية بالكواكبي اسماً ونسباً ومولداً ونشأة ووفاة، ثم التعرف على البيئة التي عاش فيها من الناحية السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية، لأن هذه البيئة بلا شك شكلت واقعاً كان له دور أساسا في تشكيل ثقافة الكواكبي ومنهجه الاعتقادي.

المبحث الأول: نسبه ونشأته

أ) نسبه: هو عبد الرحمن بن أبي السعود أحمد بن بهائي، وجده المعروف بالكواكبي هو أبو يحيى بن صدر الدين موسى بن صفي الدين اسحق الاردبيلي، وعند جده هذا يلتقي معه إسماعيل الصفوي مؤسس الأسرة الصفوية التي حكمت إيران.

ب) نشأته: ولد عبد الرحمن الكواكبي في حلب عام 1265 هـ/ 1849 م، ونشأ في ظل أسرته إلى حين وفاة والدته وعمره ست سنوات، حيث انتقل إلى إنطاكية ليعيش في كنف خالته صفية، وهناك تعلم التركية ثم عاد إلى حلب وأكمل تعليمه فيها، وتعلم الفارسية، وحفظ شيئاً من القرآن الكريم ودخل المدرسة الكواكبية في حلب، وكان أبوه من قبل مديراً لها، وبعد تخرجه منها عين محرراً في صحيفة الفرات الرسمية 1289هـ/ 1872م، ثم قام بالاشتراك مع هاشم العطار بتأسيس جريدة الشهباء 1294هـ/ 1877م وكانت أول جريدة عربية مستقلة في حلب، فأغلقها الوالي العثماني لتهجمها على السلطات العثمانية، وعلى الرغم من توليه مناصب مختلفة في الدولة، إلا أنه تعرض للسجن والملاحقة من السلطة العثمانية، فارتحل من حلب وزار الهند والصين والجزيرة العربية وبلدان أخرى من العالم الإسلامي، واستقر به المقام في مصر، إلى أن توفي فيها سنة 1320هـ/ 1902م، وقد ترك آثاراً علمية من مقالات صحفية وكتابين مشهورين هما طبائع الاستبداد وأم القرى، وضمنها آراءه السياسية والإصلاحية والدينية والاجتماعية حول واقع المسلمين والعرب وأسباب النهوض بالأمة من كبوتها"[1]، إضافة إلى كتاب صحائف قريش الذي صادرته السلطات العثمانية ولم يبق له أثر.

المبحث الثاني: العصر الذي عاش فيه

لقد كان للعصر الذي عاش فيه الكواكبي أثر واضح في تشكيل ثقافته وآرائه الإصلاحية.

أ) الواقع السياسي في ذلك العصر: عاصر الكواكبي فترة الصحوة التي شهدتها الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بعد أن أشرفت هذه الدولة على الموت، وأطلق على هذه الصحوة صحوة الرجل المريض[2]، ولذلك

اتسم هذا العصر من الناحية السياسية بانحطاط الدولة العثمانية اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً، وانفصلت عنها الكثير من الولايات التي كانت تابعة لها، واحدة تلو الأخرى، وبدأت الدول الكبرى تتدخل في شؤونها الداخلية فيما أطلقت عليه هذه الدول بالمسألة الشرقية(3)، أي اقتسام أملاك الدولة العثمانية، كما شهد هذا العصر نشوء النزعة القومية لدى القوميات المنضوية تحت لواء الدولة العثمانية، بتحريض وإثارة من فرنسا وبريطانيا وروسيا، ذوي النفوذ الأكثر تأثيراً على تلك القوميات، وكان للكواكبي رأي خاص بالدولة العثمانية، تمثل في عدم الاعتراف بشرعيتها الدينية في الخلافة، لأنها أعجمية، و أن العرب هم الأحق بالخلافة الإسلامية، لأنهم حملة رسالة الإسلام، وفيهم نزل القرآن، لذا يرى أن تكون الخلافة عربية قرشية مركزها في مكة المكرمة(+3).

ب) الواقع الاجتماعي في ذلك العصر: انتشر الجهل والتخلف والفقر بين فئات المجتمع العثماني عامة، ومجتمع بلاد الشام بشكل خاص، جراء انشغال الدولة العثمانية بالشأن السياسي والعسكري في مواجهتها مع الدول الكبرى، حيث كانت في حروب دائمة مع تلك الدول، جعلتها غير قادرة على تحسين الأوضاع الاجتماعية في ولاياتها المختلفة، لتوجه مواردها المالية نحو المجهود العسكري، وقد نتج عن قله الوعي الثقافي الإسلامي لدى فئات المجتمع، أن غلب الجهل على حياة العامة، وتولدت البدع والخرافات، وكثرت الزوايا والطرق الصوفية في أرجاء الدولة العثمانية ومنها بلاد الشام، وابتعد الناس عن العقيدة الصحيحة، الأمر الذي جعل الكواكبي وغيره من المصلحين والمتنورين يهبون لشرح تعاليم الإسلام وبيان زيف المذاهب المحدثة والبدع، والمطالبة بالعودة إلى المنابع الأصلية للعقيدة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية(4).

ج) الواقع الثقافي في ذلك العصر: كانت بلاد الشام شأنها شأن سائر الولايات العثمانية في عصره أواخر القرن التاسع عشر، تعاني من ضعف الثقافة وضآلة عدد المدارس، وقلة وسائل الطباعة والنشر، وفي هذه الأجواء تحركت الإرساليات التبشيرية في ربوع الشام، وبخاصة في لبنان، وأخذت تنشر الثقافة التغريبية وتدعو إلى السير على خطى الغرب، وتطالب بإعطاء الأقليات حقوقها، متهمةَ الدولة العثمانية بتضييع تلك الحقوق، كما تعمل على إشاعة الروح القومية، والدعوة إلى الحرية وحقوق الإنسان، والتنديد بالاستبداد والظلم، في إشارات واضحة إلى عهد السلطان عبد الحميد الثاني أواخر القرن التاسع عشر، وهو ما جاهر به الكواكبي في كتابيه طبائع الاستبداد وأم القرى، وتطرق فيه إلى مواطن الخلل الثقافي في الأمة، مع تغليب الطابع السياسي على دعوات الإصلاح، والتغيير في الدولة العثمانية(5) لهذا فإن تركيز الكواكبي على أسباب الضعف والفتور في الأمة، ودعوته للأخذ بأسباب النهوض والترقي، إنما هو انعكاس لروح العصر الذي عاش فيه، وسعى لمعالجة الوهن الذي تعيشه أمته في المجالات كافة، وفي مقدمة ذلك الإصلاح الديني.

د) مدى تأثر الكواكبي بالفكر القومي في ذلك العصر:

مع حلول النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأ الفكر القومي بالبروز وإن كان لم يتبلور على شكل تيار إلا في مطلع القرن العشرين حيث بدأ الصراع القومي بين القومية العربية في مصر والشام من جهة وبين القومية الطورانية في تركيا من جهة أخرى(+5) .

لقد عاصر الكواكبي هذا التحول في العلاقات بين العرب والأتراك وبخاصة بعد سياسة التتريك التي سادت عليها جماعة الاتحاد والترقي بعد السلطان عبد الحميد ونشوء حزب تركيا الفتاة بعد ذلك مما أدى إلى ردود الفعل العربية ونشوء التيار القومي العربي المقابل لهذه السياسات والأفكار.

مثل هذا الصراع شكل بيئة مناسبة لفكرة العداء التي حملها الكواكبي ضد الدولة العثمانية وممارساتها الاستبدادية والمعادية للعرب.

الفصل الثاني
منهج الكواكبي في تناول العقيدة

المبحث الأول: الشخصية الدينية الخاصة للكواكبي

من يدقق النظر في شخصية الكواكبي وفي آرائه و كتاباته، يتبين أنه مسلم موحد تعالى على عقيدة أهل السنة والجماعة، يصدر في مواقفه وأقواله وأفعاله عن تصورات واضحة في العقيدة أُشربها منذ نعومة أظفاره من والديه وأسرته، باعتباره تربى في عائلة علم ودين، وتعلم في المدرسة المسماة باسم عائلته "المدرسة الكواكبية"(6) على أيدي علماء أفاضل وأساتذة وفقهاء ضالعين بالعلوم الشرعية(7)، ويقلد الكواكبي المذهب الحنفي أحد المذاهب الأربعة لأهل السنة(8)، وهو المذهب الرسمي المعتمد في الدولة العثمانية، وهذه قرينة أولى تدل على أن الكواكبي سني المذهب، تؤيدها قرائن أخرى، منها أن أهالي حلب خصوصاً وبلاد الشام على وجه العموم، غالبيتهم من المسلمين على عقيدة أهل السنة، ولا يوجد فيها إلا فئات قليلة ينتمون إلى الفرق الأخرى،

ومنها أن ما يصدر عن الكواكبي من آراء في موضوع العقيدة تشير صراحة إلى التزامه بمذهب أهل السنة، كترضيه عن الخلفاء الراشدين وهو يتحدث عنهم في كتابه أم القرى، لاسيما أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، حيث ذكر كلاً منهما بقوله: رضي ا عنه[9]، وكذلك إقراره بأن جميع الصحابة عدول ثقات، وترضيه عنهم صراحة[10] دليل قاطع على أن عقيدته هي عقيدة جمهور المسلمين وهم أهل السنة، لأن غيرهم من الاثني عشرية لا يقرون بعدالة جميع الصحابة، ويتهمون الصحابة بالكذب، سوى قلة منهم[11]. ولو كان على المذهب الشيعي ما بدر عنه ذلك، نظراً لما هو معروف من موقف الشيعة الأمامية الاثنا عشرية من الخليفتين أبي بكر وعمر وسائر الصحابة رضي ا عنهم، وفي الجانب الآخر لا تدل بحال من الأحوال بعض الإشارات الواردة في سيرة الكواكبي على تشيعه، مثل نسبته لعائلة صفي الدين الأردبيلي التي تلتقي مع الصفويين الإيرانيين الشيعة عند إسماعيل الصفوي مؤسس الأسرة الصفوية في إيران، لأن ذلك يعود إلى عدد من الأجداد السابقين، قبل أن تهاجر أسرة الكواكبي إلى بلاد الشام، حيث التزمت بمذهب أهل السنة في حلب ذات الأغلبية السنية المطلقة، وكانت هذه الأسرة قد تركت أردبيل وهاجرت إلى حلب منذ أربعمائة عام[12]، كما أن تسمية ابنه كاظم لا تعد دليلاً على تشيعه، بل إن انتماءه لآل البيت جعله يسمى أحد أبنائه باسم موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وهو سابع أئمة المذهب الجعفري[13]، وعند أهل السنة عموماً وفي بلاد الشام على وجه الخصوص ليس هناك تمييز في الأسماء، وأكثر الأسماء شهرة عندهم هي أسماء أهل بيت النبي ﷺ وأقربائه، ويؤكد هذا أن المعاصرين للكواكبي من الذين تحدثوا عنه وترجموا له مثل كامل الغزي وراغب الطباخ ورشيد رضا وكرد علي وآخرين[14]، لو علموا شيئاً من هذا لذكروه وأبرزوه، لأن أمراً كهذا لا يمكن تجاوزه أو إغفاله، وإن عدم الإشارة إليه شهادة للكواكبي على أنه على مذهب أهل السنة، وأن عقيدته نقية صحيحة، وإن إزالة اللبس عن هذه المسألة أمر غاية في الأهمية قبل عرض منهجه في تناول العقيدة، لأن انتماءه المذهبي هو المحور الذي تتفرع عنه رؤيته لكل مسائل العقيدة، ومما يزيد الأمر وضوحاً أن الكواكبي تعمد الإشارة صراحة إلى رفضه للمذهبية الضيقة التي تغرق الأمة وتقسمها إلى طوائف وفئات يسهل اختراقها والنيل منها، ويضعف دورها الحضاري، ولعله قصد الرد على بعض الذين يغمزون منه ويتهمونه بذلك، ويوشون به إلى السلطات العثمانية للتزلف إليها من حساده ومبغضيه، وقال صراحة في ذلك: وعسى أن يعلم المسلمون، ولا سيما الأتراك ومن يحكمون، أننا من أهل السنة، لا كما يوهمون أو يتوهمون[15]. لذلك وجه الكواكبي اهتمامه إلى كشف أسباب الفتور والوهن في الأمة، دون الالتفات إلى هذا الموضوع.

المبحث الثاني: الملامح العامة لعقيدة الكواكبي ومنهجه في تناولها

أ) مفهوم الألوهية والعبادة وارتباطها بالواقع في نظر الكواكبي

تقوم عقيدة الكواكبي على صفاء الإيمان با تعالى وإخلاص العبودية له وقد أشار إلى ذلك في مطلع الاجتماع الأول لجمعية أم القرى التي تخيل أحداثها ووقائعها، كما أشار إليه في أكثر من موضع في هذا الكتاب، فقد اقترح في بداية الاجتماع الأول لمندوبي البلاد الإسلامية أن يكون شعار جلسات المؤتمر المنعقد في أم القرى، هو: "لا نعبد إلا ا "، ثم ربط هذا الشعار بالمفهوم الكلي للإسلام، من خلال التأكيد على التلازم بين التوحيد والجهاد والأخلاق في الإسلام، مخاطباً الأعضاء بقوله: من كان منكم يعاهد ا تعالى على الجهاد في إعلاء كلمة ا والأمانة لإخوان التوحيد أعضاء هذه الجمعية المباركة فليجهر بقوله: على عهد ا بالجهاد والأمانة"[16].

ولا شك أن سبب طلب الكواكبي من الأعضاء التعاهد على الجهاد والأمانة، أنه يؤسس تنظيماً سياسياً سرياً لمقاومة السلطات العثمانية التي ينتقدها بشدة! ويعتبر مقاومتها بالكلمة والكتابة والعمل المنظم جهاداً يتطلب التضحية والبذل، كما يقتضي كتم السر وعدم وشاية الأعضاء بعضهم ببعض، وهو ما عبر عنه بحفظ الأمانة التي طالب أعضاء الجمعية الوفاء بها، فهو يؤمن بان العمل السياسي جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية ومن المنهج الإسلامي الذي يجب أخذه ككل، تحقيقاً لقوله تعالى الذي ذم فيه بني إسرائيل ولعنهم حين أخذوا بعضاً من العقيدة والشريعة وتركوا بعضها الآخر، فقال تعالى: "... أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب، وما ا بغافل عما تعملون"[17].

ومثل هذا العمل الذي دعا إليه الكواكبي وإن كان عملاً فإنه لا يدخل في باب الخروج على الإمام بالقوة أو ما يسميه الفقهاء البغي وإنما يدخل في باب المعارضة السياسية أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدح بقول الحق في وجه الظالم.

كما تحدث عن معنى التوحيد وأن عقيدة التوحيد في الإسلام تؤصل في النفس البشرية الحرية والكرامة الإنسانية برفض العبودية لغير الخالق ورفض الخضوع لغير ألوهيته.

وقد ركز على ذلك في كتابه طبائع الاستبداد، معتبراً أن الاستبداد السياسي متولد من الاستبداد الديني، وأن أصول ذلك مرتبط بالتوراة والإنجيل وفق ما نقله عن الكتاب السياسيين من الإفرنج، ويعلل هؤلاء وجهة نظرهم بأن التعاليم الدينية السماوية منها وغير السماوية تدعو البشر إلى خشية قوة عظيمة هائلة غيبية لا تدرك كنهها العقول، وأن المستبدين السياسيين يبنون استبدادهم على أساس من هذا القبيل، لأنهم يسترهبون الناس بالتعالي الشخصي، ويذلونهم بالقهر والقوة وسلب الأموال، وأن التشابه بين القوة الغيبية ذات الطابع السماوي الديني والقوة البشرية التي تسترهب الناس بالقهر، يعود إلى الالتباس عندهم بين الإله المعبود وبين الجبار من بني البشر، واختلاطهما من حيث التشابه في استحقاق التعظيم، ويكشف في موطن آخر كُنْه العلاقة بين الاستبداد والعلم، معتبراً أن المستبدين يخافون من العلم، كي لا يعرف الناس أن الحرية أفضل من الحياة، ولذلك يضحي طالبو الحرية بحياتهم وهم يقاومون المستبد، ويبين الكواكبي أن معرفة معنى لا إله إلا الله هي أفضل من الذكر، لأنها تعلم الناس الحرية ورفض العبودية لغير الله، وهذا هو نقاء العقيدة، وبه يعرف الناس معنى لا إله إلا الله ويفهمون أن العبادة والعبودية هما التذلل والخضوع، ويكون معنى لا إله إلا الله أنه لا يستحق التذلل والخضوع أحد غير الله، ثم يتساءل قائلاً: فهل والحالة هذه يناسب المستبدين أن يعلم عبيدهم ذلك ويعملوا بمقتضاه؟! كلا ثم كلا!![18] فتوجه الكواكبي نحو معنى الألوهية والعبودية ينصب على بيان أن الحاكمية لله، وأن الحكام المستبدين ينازعون الله عز وجل في أولى صفات الألوهية وهي الحاكمية، وبين أن كشف هذا المعنى للناس هو تجريد المستبد من وسائل تحكمه بالعباد واستعبادهم، وهذا المعنى أراده الله في الآيات الثلاث التي تحدث عن كفر وظلم وفسق بني إسرائيل عندما لم يحكموا بما أنزل الله، لأنه في حال إنكار الحاكمية لله، ومنازعة الله في الحاكمية والألوهية يكون الكفر كفر اعتقاد، والشيء ذاته في حالة التشريع من الحاكم للمحكومين ومنازعته لله في أهم صفاته وهي التشريع، أما في حال التساهل في التطبيق للشريعة ففي ذلك ظلم وفسوق[19]، لأنهم يؤمنون بهذه الشريعة، ويوقنون أنها من عند الله، لكن يحيدون عنها ولا يطبقونها تساهلاً وعصياناً، وعلى المعنى الأول الذي تكون فيه العبودية والتعظيم للحاكم بدل الخالق في حال شرع الحاكم للمحكومين، جاء جواب النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم حين اعترض عدي على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ عليه قوله تعالى: " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم، وما أُمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون"[20].

وجاء اعتراضه بقوله: إنهم لم يعبدوهم، فقال صلى الله عليه وسلم: بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم"[21].

ثم يسوق الكواكبي الأمثلة التاريخية في الأمم الغابرة عن هؤلاء المستبدين الذين ادعوا الألوهية على مراتب مختلفة، بدء من حكماء اليونان الذين تحيلوا على ملوكهم المستبدين في حملهم على قبول الاشتراك في السياسة، ثم بإحيائهم عقيدة الاشتراك في الألوهية التي أخذوها من الآشوريين، ومزجوها بأساطير المصريين، حتى ألبسوها سحر البيان وطالبوا جبابرتهم بالنزول من مقام الانفراد، وبأن تكون إدارة الأرض كإدارة السماء إلى أن جاء إفساد بني إسرائيل لعقيدة التوحيد التي جاءت بها التوراة المنزلة، وجاء النصارى ليحرفوا ناموس التوحيد الذي جاء به الإنجيل، ويسوق الكواكبي هذا التسلسل الفلسفي المنطقي لمسألة الشرك في الأمم والأديان السابقة، حتى يصل إلى القول إن الإسلام جاء بالحكمة والتوحيد هادماً للشرك بالكلية، ومحكماً لقواعد الحرية السياسية القائمة على الشورى بمنهج الوسطية الذي يجمع بين الديمقراطية والأرستقراطية، وكانت حكومة الخلفاء الراشدين مثالاً صحيحاً لتطبيق عقيدة التوحيد وفق مفهومها القرآني الصافي، ولم يأت بعد الراشدين إلا قلة أخذت بمنهجهم، كعمر بن عبد العزيز والمهتدي العباسي ونور الدين الشهيد[22]. ويقصد نور الدين محمود آل زنكي.

فالكواكبي يبدأ بأصول العقيدة وهي توحيد الألوهية، ويعتمد على علم المنطق في استقراء معاني الشرك ومفرداته، التي يرى أنها رديف الاستبداد، ثم يبين كيف استبد الحكام المستكبرون بالناس ثم استعبدوهم، حتى صار هؤلاء الحكام المستبدون بمقام الإله، ويسرد أمثلة من القرآن في إظهار التباين والاختلاف بين عقيدة الإسلام التوحيدية، ويطلق عليها مصطلح الإسلامية في كل كتاباته[23]، وبين عقائد الشرك لدى الأمم السابقة، وبخاصة اليهود والنصارى، يقول الكواكبي: فهذا القرآن مشحون بتعاليم إماتة الاستبداد وإحياء العدل، حتى في القصص منه"[24]... ويعزو ما دخل في الإسلام من لوثات عقَدية فيها تعظيم للأشخاص، إلى النصرانية، وأن المسلمين أخذوا ذلك من غيرهم، وهو ليس من دينهم، يقول: "اقتبسوا مقام البابوية وتمثيله، باحترام

الأعاظم احترام عبادة، وطاعة الكبراء على العمياء، وضاهوا مقامات البطارقة والكردينالية[25]، وهو يقصد بهذه التشبيهات بين ما هو موجود عند النصارى، وبين المظاهر التي اقتبسها المسلمون منهم، خاصة المسلمون الذين يعايشهم في عصره، من ذوي العمائم والمتمثلين بالمظاهر الشرعية، وخاصة المتصوفة والموظفين الشرعيين في الدولة العثمانية، الذين يكن لهم العداء ويصفهم بالجهل والتمسح بالقشور فقط، ويقدم صوراً من التشابه بينهم وبين النصارى فيقول: حاكوا مظاهر القديسين وعجائبهم، وقلدوا رجال الكهنوت في مراتبهم وتميزهم في ألبستهم، وشاكلوا مراسم الكنائس وزينتها، والبيع واحتفالاتها، والترنحات ووزنها، والترنمات وأصولها، وإقامة الكنائس على القبور، وشد الرحال لزيارتها والخضوع لديها وتعليق الآمال بسكانها، وأخذوا التبرك بالآثار كالقدح والحربة، وكذلك إمداد اليد على الصدر عند ذكر الصالحين من إمرارها على الصدر لإشارة التصليب، وانتزعوا الحقيقة من السر، ووحدة الوجود من الحلول، والخلافة من الرسم، والمولد من الميلاد، وحفلته من الأعياد، ورفع الأعلام من حمل الصلبان، وتعليق ألواح الأسماء المصدرة بالنداء على الجدران، من تعليق الصور والتماثيل، ومنعوا الاستهداء من نصوص الكتاب والسنة، من حظر الكهنة الكاثوليك التفهم من الإنجيل من غيرهم، وسد اليهود باب الأخذ من التوراة وتمسكهم بالتلمود، وجاءوا من المجوسية باستطلاع الغيب من الفلك والكواكب، ولفقوا من الأساطير والإسرائيليات أنواعاً من القربات، وعلوماً سموها لدنيات... والخلاصة أن البدع التي شوشت الإيمان، وشوهت الأديان، تكاد كلها تتسلسل بعضها من بعض، وترمي جميعها إلى غرض واحد هو المراد، ألا وهو الاستبداد[26].

فهو يرى أن صور البدع المختلفة التي ألحقها المتصوفة في الإسلام، إنما هي دخيلة على الإسلام من الديانات والأمم السابقة كالمجوسية واليهودية والنصرانية، وأنها في محصلتها تشويش للإيمان وتشويه للأديان، ولذلك حاربها أيما محاربة، ودعا إلى تخليص الإسلام منها، وأفرد لها صفحات كثيرة في اجتماعات جمعية أم القرى، وخصص لها جلسات بكاملها وهو يناقش المتصوفة ويفند بدعهم ويرد على ما يعتقد أنه صور الشرك التي أدخلوها في الإسلام، وأنها بجملتها بعيدة عن روحه ومضمونه.

ب) مفهوم الإيمان بالرسل الكرام وحقيقة الاقتداء بهم ودور العلماء في ذلك

دعا الكواكبي إلى السير على طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في تلقي العقيدة واستيعابها: والإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في تطبيقها، خاصة وأن السنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، وتبدو هذه الرؤية واضحة في فكره وفي توجهه الإصلاحي، ونظراً لما أولاه الكواكبي لمسألة" الإيمان بالرسل والأنبياء من اهتمام، وبالنظر إلى توسعه في الحديث عن السنة النبوية، وضرورة التمسك بها، لأنها ثاني مصادر العقيدة، فإنه يمكن اعتبارها ثاني ركن من أركان منهجه الإصلاحي، وقد استشعر مسؤولية تطبيقها والعمل بها، وأكد بعد ذلك أن العلماء والمصلحين ورثة الأنبياء، وقال في هذا المعنى: "والحكماء السياسيون الأقدمون اتبعوا الأنبياء عليهم السلام في سلوك هذا الطريق وهذا الترتيب، أي الابتداء من نقطة دينية، توصلاً لتحرير الضمائر، ثم باتباع طريق التربية والتهذيب بدون فتور ولا انقطاع"[27].

ومع إقراره بدور العلماء في حمل رسالة الإسلام وتبليغها بعد النبي صلى الله عليه وسلم، إكمالاً لدوره في بيان العقيدة الصافية المنزلة من عند الله، فإنه يميز بين مكانة النبي والأنبياء وبين مكانة العلماء، فالأنبياء لهم العصمة وهم معصومون لأداء الرسالة بأمانة ودقة، حتى لا يشك الناس في تفاصيل ما يأتون به وما يبلغونه عن الوحي، في حين أن العلماء ليست لهم هذه المزية وهم غير معصومين، وفي هذا يقول: فالعالم عندنا لا يستطيع أن يجيب إلا عن بعض ما يسأل، ولا يأنف أن يقف عند "لا أدري" بل يحذر ويخاف من غش السائل وتغريره إذا أجابه بأن فلاناً، المجتهد يقول إن الله أحل كذا وحرم كذا، لأن السائل لا يعلم هو من أن هذا المجتهد الذي ليس بمعصوم، كثيراً ما يخالف في قوله من هو أفضل منه من الصحابة والتابعين، وأنه أي المجتهد، إنما اجتهد لنفسه وبلغ عذره عند ربه، وصرح بعدم جواز أن يتبعه أحد فيما اجتهد، وتبرأ من تبعة الخطأ[28].

وينتقل بعد ذلك لبيان مكانة السنة في العقيدة، ويكشف عن اعتقاده وعن تصوره وإدراكه لكيفية العمل بالسنة، دون زيادة أو نقصان أو تحريف أو تبديل: ومن أهم قواعد ديننا أيضاً: أنه محظور علينا أن نزيد على ما بلّغنا إياه رسول الله، أو ننقص منه أو نتصرف فيه بعقولنا، بل متحتم علينا أن نتبع ما جاء به الصريح المحكم من القرآن، والواضح الثابت مما قاله الرسول أو فعله أو أقره، وما أجمع عليه الصحابة، إن أدركنا حكمة ذلك التشريع، أو لم نقدر على إدراكها، وأن نترك ما يتشابه علينا من القرآن، فنقول فيه: "آمنا به، كل من عند ربنا، وما يعلم تأويله إلا الله"[29].

فهذا التصور للإيمان بمحكم القرآن وبمتشابهه وبقواعده

الكلية، وما تلاه من تصور واضح عن السنة النبوية، وتفصيل أجزائها القولية والفعلية والتقريرية، وكلها تشريع للأمة، إنما يعبر عن فهم دقيق لأركان العقيدة ومصادرها، وهذا هو الذي عليه جمهور المسلمين من أهل السنة والجماعة عبر تاريخ الأمة من عهد النبوة وحتى يومنا هذا.

ج) ضرورة انسجام العقيدة مع الفطرة

عقيدة الكواكبي عقيدة التوحيد المنسجمة مع الفطرة التي تمثل عقيدة أهل السنة والجماعة، والتي ترى أن كل الأقوام إنما يولدون في الأصل على الفطرة والتوحيد والدينونة للخالق سبحانه وتعالى، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينَّصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء[30].

وفي هذا يقول الكواكبي: وهؤلاء الأقوام، قوم نوح، وقوم إبراهيم، وجاهلية العرب، واليهود أو النصارى، ومجوس فارس، ووثنيو الهند والصين، ومتوحشو أفريقيا وأمريكا وسائر البشر، كلهم كانوا ولا زالوا أهل فطرة دينية، يعرفون الله، وليس فيهم من ينكره كلياً، كما قال عز من قائل: وإن من شيء لا يسبح بحمده"[31].

ثم يربط بين هذا الجانب العقدي وبين ما يفسد الفطرة البشرية لاحقاً من إشراك بالله وإنكار لصفات الربوبية للخالق سبحانه، يقول الكواكبي: ويل للبشر!! يغلب عليهم الإشراك بالله، فيخصصونه تعالى شأنه بتدبير الأمور الكلية والشؤون العظام كالخالقية وتقسيم الأرزاق والآجال، كأنهم يجلونه عن تدبير الأمور الجزئية، ويتوهمون أن تحت أمره مقربين وأعواناً ووسائط من الملائكة وجن وأرواح، وبشر وحيوانات، وشجر وحجر، وأنه جعل لهم وللنواميس الكونية من أفلاك وطبائع، دخلاً وتأثيراً في تدبير الأمور الجزئية، إيقاعاً أو منعاً، وأعطاهم شيئاً من القوة القدسية وعلم الغيب،... وبناء عليه جرت عادة الله تعالى أن يبعث الرسل ينقذون الناس من ضلالة الشرك، ويهدونهم إلى معرفة الله، لكي يعبدوه وحده، وبذلك تتم حجته عليهم"[32].

ويخلص الكواكبي إلى أن الإقرار بالشهادتين هو ثمرة الإيمان: فثمرة الإيمان بأن (لا إله إلا الله) عتق العقول من الإسارة، وثمرة الإذعان بأن (محمداً رسول الله) إتباعه حقاً في شريعته التي تحول بين المسلم وبين نزوعه إلى الشرك، وتنيله سعادة الدارين[33].

وبعد شرحه لعقيدته في توحيد الألوهية والربوبية وفي النبوة والأنبياء، وخاصة تفصيله لمكونات الاعتقاد بنبوة سيدنا صلى الله عليه وسلم وسنته، معتمداً على أسلوب الحوار، ومدعماً آراءه بالحجج والبراهين العلمية والشواهد القرآنية والنبوية، وبشواهد من القصص القرآني وقصص الأمم السابقة، يلتفت إلى تفصيل مصادر العقيدة وهي القرآن والسنة، فيؤكد ابتداء أن أساس وحدة الأمة هو بالرجوع إلى جوهر العقيدة ومنابعها الأصلية، وفي ذلك خروج من متاهة الاختلافات الفقهية[34]، يقول في ذلك: ثم يا أيها الإخوان أظنكم كذلك تستصوبون أن نترك جانباً اختلاف المذاهب التي نحن متبعوها، فلا نعرف مآخذ كثير من أحكامها، وأن نعتمد على ما نعلم من صريح الكتاب وصريح السنة وثابت الإجماع"[35]. ثم يقول شارحاً استيعابه لمفهومي الكتاب والسنة: أما الكتاب فهو هذا القرآن الذي وصل إلينا بطريق لا تحتمل الشبهة فيه، لاجتماع الكلمة واتفاق الأمة عليه... أما السنة فهي ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم أو فعله أو أقره، ولم يكن صدر منه ذلك على سبيل الاختصاص أو الحكاية أو العادة[36].

د) تبني مذهب السلف في العقيدة

لعبت تربية عبد الرحمن الكواكبي وتلقيه التعليم الشرعي الإسلامي على أيدي فقهاء ضالعين بالعلوم الإسلامية، وذوي رؤية وفهم صحيح للعقيدة الإسلامية، دوراً في اقتناعه بالتزام منهج السلف الصالح في العقيدة، علاوة على تأثره بالحركة الإصلاحية الوهابية التي تدعو للالتزام بهذا النهج، وتأثر بلدان العالم الإسلامي بفكر مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبمنهجه الإصلاحي القائم على الدعوة إلى طريقة السلف الصالح في فهم عقيدة الإسلام وتطبيقها، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فهم الناس الخاطئ لمبادئ العقيدة وأسسها، وما يترتب على ذلك من تطبيق مشوه ومنحرف، سواء من حيث الزيادة أو النقصان، لقيم العقيدة وللعبادات، خاصة في الجانب السلوكي وفي ممارسة شعائر العبادة، كالصيام والصلاة والذكر، بحيث يميل بعضهم للتشدد في أداء العبادات، ويميل آخرون للتساهل والتطبيق المخالف لما ورد في محكم القرآن وثابت السنة النبوية، وهو ما يقوم به المتصوفة نتيجة الجهل بأحكام الشريعة، وتأثراً بآراء أئمتهم وشيوخهم، واتباعهم لهؤلاء والتسليم لهم تسليماً مطلقاً فيما يوجهونهم إليه، وبما يأمرهم به هؤلاء الأئمة الصوفيون ذوو الثقافة الشرعية المحدودة، لهذا كله نادى الكواكبي وغيره من المصلحين الإسلاميين في عصره، في بلاد الشام وغيرها من ولايات الدولة العثمانية، بالعودة إلى تعاليم الإسلام وتلقيها من

مصادرها الأصلية وهي الكتاب والسنة، والسير على هدي النبي صلى ا عليه وسلم، والالتزام بمنهم السلف الصالح في فهم مبادئ العقيدة وأخذها بالشكل الذي أخذه هؤلاء السلف، ويقصد بهم صحابه النبي صلى ا عليه وسلم وتلامذتهم من التابعين وتابعي التابعين[37]. وباعث الكواكبي في الدعوة إلى منهج السلف هو تأثره وكثير من مصلحي عصره، بحركة المصلح محمد بن عبد الوهاب الذي انطلقت دعوته من نجد قلب الجزيرة العربية مطلع القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، مجدداً ومصلحاً يدعو للعودة لأصول الإسلام الصحيحة، وتنقية العقيدة الإسلامية مما ألحقه بها العوام وجهلة المسلمين من زيادات وحشو وبدع ومبالغات، وكلها تنافي روح الإسلام وعقيدته الربانية[38]، وما أراده الكواكبي من دعوته إلى منهج السلف، لا يقصد به الإتباع الدقيق للخط السلفي الإصلاحي الذي يعتقده علماء الجزيرة العربية في مسائل العقيدة كلها، وفي تطبيق العبادات وأركان الإسلام، إنما يقصد السير على منهج السلف في الأجيال الإسلامية الأولى، مع التوافق مع الحركة الإصلاحية السلفية في العصر الحديث حول منهجها الإصلاحي وحول التركيز على تنقية العقيدة من البدع والابتعاد عن الشرك، وأراد بذلك أيضاً الابتعاد عن التداخلات والخلافات المعقدة بين الفرق حول أصول العقيدة وجزئياتها، لأن الإتباع وفق رأي الكواكبي للخط السلفي الجديد، قد يسهم في زيادة تفرقه الأمة وفي تحزب الفئات الإسلامية، وانتصار كل فئة وكل فرقة لمذهبها ولوجهة نظرها في هذه المسألة أو تلك، الأمر الذي يزيد من تشتتها واختلافها وتفرقها، وهذا ما أراد الكواكبي التأكيد على رفضه، بدليل احتجاجه بآراء أئمة المذاهب الإسلامية الأولى، وهم الإمام أحمد بن حنبل والشافعي ومالك وأبي حنيفة، وتعمده الإشارة إلى المذاهب الإسلامية الأخرى، وذكر منها الزيدية والجعفرية[39]، ليرسخ في أذهان من يقرأون كتاباته، القناعة التالية: أن وحدة الأمة والتقاء فرقها وطوائفها، أمر ينبغي تحقيقه، وأن الاعتقاد به واجب وجوب الاعتقاد بوحدانية ا ، وأن هذه العقيدة الإسلامية عقيدة التوحيد هي أساس التوحد والالتقاء بين فرق الأمة وطوائفها[40]، ونستقرأ هذه الآراء والمعاني والتوجهات من أقواله الصريحة المباشرة، ومن سياق توجيهه للنصوص التي يستدل بها، ولمداولات مؤتمر أم القرى، وأيضاً من الحوارات التي يتعمد أن يوصلها لنا وكأنها تجري على السنة المعنيين الذين يمثلون هذه الفرق والطوائف والفئات، فها هو يولي هذا الموضوع كل الاهتمام في بداية كتابه، ويرسم في الاجتماع الثاني لمؤتمر أم القرى الخطوط العريضة للمنهج الذي يلتزم به، وهو منهج السلف الصالح.

هـ) عقيدته في القضاء والقدر

اعتقد الكواكبي أن العقائد السماوية التي أنزلت من عند ا لصلاح الإنسان وهدايته، وأن التمسك بها كما نزلت من عند ا بتوحيد الخالق عز وجل في ألوهيته وربوبيته وفي أسمائه وصفاته، إنما هي المنطلق الصحيح نحو البناء والإصلاح، ويرى أن العقيدة الإسلامية هي خاتمة تلك العقائد، حيث فسرها تفسيراً ينهض بالإنسان، وفي الوقت ذاته يكشف الكواكبي ما في عقيدة الجبرية[41]، من انحراف عن المنهج الإسلامي الذي عليه جمهور المسلمين قديماً وحديثاً، كما يكشف عقدية القَدرية[42]، وما فيها أيضاً من مجانبة لما عليه أهل السنة والجماعة من الإيمان بالقضاء والقدر، وتفسيرها وتفسير ما يتعلق بهما من قضايا دنيوية وأخروية، إذ أن إرادة الخير والشر هي أساس القضاء والقدر، والقضاء والقدر ركن مهم من أركان العقيدة الإسلامية، ويؤدي سوء فهم هذا الركن من قبل عوام المسلمين وجهلتهم، إلى اتهام العقيدة الإسلامية، لا سيما من غير المسلمين، وخاصة المستشرقين، بأنها تدعوهم إلى التواكل الذي يؤدي إلى تأخر المسلمين وانحطاطهم، ويؤدي إلى كل نقيصة في المجتمع الإسلامي، على المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية[43]، وهو ما جعله الكواكبي من أسباب الفتور والضعف والانحطاط[44]، لأن المسلمين عندما يؤمنون بالجبرية فإن ذلك يعني تعطيلاً لإرادة البناء والعمل والتطلع للمستقبل، وأنهم باعتقادهم بهذه القواعد الاعتقادية والسلوكية، التي تجعل الإنسان يميل إلى الزهد في الدنيا والقناعة باليسير، لأنه يعتقد أن الخير والشر مقدر عليه ولا إرادة له في كسب تصرفاته، وأنه مجبر على أفعاله، ولا دور له في تقريرها أو ردها، إنما يتركون الأخذ بالأسباب المطلوبة لنشأة الحياة التي تأمر بها كل العقائد والتشريعات السماوية، والإسلام جاء بتفعيلها وتنشيطها وإحياء روح العطاء المتجدد فيها، ولذلك فعقيدته مبنية على تخيير الإنسان في صنع أفعاله، وأن القَدر خيره وشره من ا ، من حيث الإرادة والقضاء والتقدير، وأن خيره من ا والشر من نفس الإنسان ومن أفعاله، ومن الشيطان الذي يوسوس له بذلك[45]، ولذلك نجد الكواكبي يفند آراء هذه الفرق المنحرفة في فهم عقيدة القضاء والقدر، منطلقاً من قناعته الراسخة بأن الداء الذي تعاني منه الأمة، وهو التأخر والانحطاط والفتور، سببه عقَدي فكري، ولذلك يثور على هذه المعتقدات المنحرفة، لأنه يريد الإصلاح لأمته، ويريد لها الرقي والنجاح والنهوض،

وهذا كله منبعه من عقيدة الإسلام الصحيحة، كما أنزلت من عند ا على النبي صلى ا عليه وسلم عن طريق الوحي، وهو يبدأ حديثه عن هذا الموضوع بربط أسباب النجاح بأصل العقيدة الإسلامية وفق ما جاء بها الإسلام، حيث يقول: فالدين الصحيح كافل للنظام والنجاح في الحال، والسعادة والفلاح في المآل.

ثم يضع يده على الداء الذي يصيب الأمة، وهو الفتور والانحطاط، ويرى أن منشأه بعض القواعد الاعتقادية والأخلاقية، مثل العقيدة الجبرية التي من بعد كل تعديل فيها جعلت الأمة جبرية باطناً قدرية ظاهراً[46].

ثم يفسر كيف تكون عقيدة الجبرية والقدرية سبباً في انحطاط المسلمين فيقول: مثل الحث على الزهد في الدنيا، والقناعة باليسير والكفاف من الرزق، وإماتة المطالب النفسية كحب المجد والرياسة، والتباعد عن الزينة والمفاخر والإقدام على عظائم الأمور، وكالترغيب في أن يعيش المسلم كميت قبل أن يموت، وكفى بهذه الأصول مفترات مخدرات مثبطات معطلات، لا يرتضيها عقل، ولم يأت بها شرع[47].

وبعد شرح منشأ عقيدة الجبر ودروها في الانحطاط، وكيف تستخدم كتبرير للعجز والجهل، يؤكد أن جذورها ليست إسلامية، بل هي في كل الديانات والعقائد الأخرى، ويقدم مقاربات من النصرانية، ويجري محاكمات عقلية منطقية للحجج التي يقدمها هؤلاء لتفنيدها ويقول: إن هذه الأصول الجبرية والتزهيدية الممتزجة بعقائد الأمة، موجودة في كل الديانات، لتعدل من جهة شره الطبيعة البشرية في طلب الغايات، وتدفعها إلى التوسط في الأمور، ولتكون من جهة أخرى تسلية للعاجزين، وتنفيساً عن المقهورين البائسين، وتوسلاً لحصول التساوي بين الأغنياء والفقراء في مظاهر النعيم. وحيث غلب أخيراً على المسلمين جهل أسباب المسببات الكونية، والعجز عن كل عمل التجأوا إلى القَدر والزهد تمويهاً لا تديناً...[48]

ويقف الكواكبي وقفة أخرى عند القضاء والقدر ليؤكد تمسكه بعقيدة الاختيار في خلق الأفعال، وأن تخيير الإنسان في فعل الخير وفعل الشر، هي من قواعد الإسلام التي عليها أهل السنة والجماعة، وفي ذلك يقول: ومن قواعد ديننا كذلك: أن نكون مختارين في باقي شؤوننا الحيوية، نتصرف فيها كما نشاء، مع رعاية القواعد العمومية التي شرعها أو ندب إليها الرسول، وتقتضيها الحكمة والفضيلة، كعدم الإضرار بالنفس أو الغير، والسعي وراء العلم النافع، والاعتدال في الأمور، ... إلى غير ذلك من القواعد الشريفة العامة[49].

ويعود ثانية إلى عقيدة الاختيار لتأصيل النهج المعتدل في العقيدة الإسلامية، وهو رد مباشر على الجبرية والفرق الأخرى التي ترى في إرادة الخير والشر، مبرراً لعقيدتها في التعطيل والتزهيد، ويبدأ بأخذ مثال من النصرانية ويقول: وهذا التبتل والخروج عن المال من أعظم القربات في النصرانية، فهل كان قصد شارع الرهبانية أن ينقرض الناس كافةً بعد جيل واحد؟ أم كان قصده أن يشرعها على أن لا يتلبس بها إلا البعض النزر؟ كلا لا يعقل في هذا المقام إلا التعميم، وينتج من ذلك أنه لا يصح اعتبار هذه الأصول الجبرية التزهيدية سبباً للفتور، بل هي سبب لاعتدال النشاط وسيره سير انتظام ورسوخ[50].

فالكواكبي في حمله على عقيدة الجبر يلتقي مع أقرانه من مصلحي عصره في وضع يده على بعض العقائد والآراء التي يراها سبباً لتأخر المسلمين والعرب، أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، ولذلك دعا إلى التخلي عن العقائد الزائفة ونبذها لإصلاح حال المسلمين، والمثل الأعلى في ذلك الصحابة والخلفاء الراشدون في تمسكهم بالعقيدة وهو الذي عبر عنه بمنهج السلف[51]، وبالإضافة لما توافق عليه الكواكبي مع المصلحين المعاصرين له الآنف ذكرهم في أن مصادر العقيدة والتشريع هي القرآن والسنة والإجماع[52]، فإنه قد التقى مع صاحب المنار الشيخ رشيد رضا في جعل القياس والمصلحة مصدرين آخرين، فتصبح المصادر خمسة، ويذكر هنا أن الكواكبي ينْظَر إليه على أنه من أتباع مدرسة المنار في المنهج الإصلاحي[53]، أما من ناحية الأسلوب في الدعوة للإصلاح فقد قورن بالأفغاني واتفق معه في جوانب واختلف في جوانب أخرى وفق المقارنة التي أجراها بينهما احمد أمين حين قال: كانت معالجة الأفغاني للمسائل معالجة تأثر، تخرج من فمه الأقوال ناراً حامية، ومعالجة الكواكبي معالجة طبيب يفحص المرض في هدوء، ويكتب الدواء في أناة، الأفغاني غاضب والكواكبي مشفق، الأفغاني داعٍ إلى السيف والكواكبي داعٍ إلى المدرسة[54].

المبحث الثالث: محددات منهجه في مسائل العقيدة

يمكن تلخيص محددات منهج الكواكبي في مسائل العقدية بالنقاط التالية:

أ) ترك الاختلاف القائم على اختلاف المذاهب، وعدم الإتباع التقليدي لما تقدمه تلك المذاهب من أحكام فقهية، لعدم القدرة على تتبع مصادر آرائها واجتهاداتها وأحكامها، وفي ذلك يقول: أيها الأخوان: أظنكم كذلك تستصوبون أن نترك جانباً اختلاف المذاهب التي نحن متبعوها تقليداً، فلا نعرف

مآخذ كثير من أحكامها[55].

ب) الالتزام باعتماد محكم القرآن وصحيح السنة وثابت الإجماع مصادر للعقيدة وللأحكام الشرعية التي تستمد منها، ويعلل الكواكبي لماذا اختار هذا المنهج ويقول: وأن نعتمد ما نعلم من صريح الكتاب وصحيح السنة وثابت الإجماع[56]، وذلك لكيلا نتفرق في الآراء، وليكون ما نقرره مقبولاً عند جميع أهل القبلة، إذ أن منهج السلف هو الأصل الذي لا يرد ولا تستنكف الأمة أن ترجع إليه وتجتمع عليه في بعض أمهات المسائل، لأن في ذلك التساوي بين المذاهب، فلا يثقل على أحد نبذ تقليد أحد من الأئمة في مسألة تخالف المتبادر من نصوص الكتاب العزيز، أو تباين صريح السنة في مدونات الصدر الأول[57]، وقوله في مناسبة أخرى، أليس أساس ديننا القرآن؟ أما السنة النبوية! أفلم تصل إلينا مجموعةً مدونةً بهمة أئمة الحديث جزاهم ا خيراً[58]؟

ج) الدعوة إلى التوافق مع نهج علماء الجزيرة العربية في استقاء العقيدة من مصادرها: وفي استنباط الأحكام الشرعية وتطبيقاتها، لأنه يرى في هذا المنهج النموذج الذي ينبغي اعتماده وتعميمه في البلاد الإسلامية، باعتباره تمثلاً لفهم الصحابة والتابعين وتابعيهم للعقيدة والشريعة والعبادة، وفي ذلك يقول: جميع أهل جزيرة العرب ما عدا أخلاط الحرمين على هذا الرأي، ... كلهم من المسلمين السلفيين عقيدةً، وغالبهم الحنابلة أو الزيدية مذهباً، وقد نشأ الدين فيهم، وبلغتهم فهم أهله وحملته وحافظوه وحماته، وقلما خالطوا الأغيار، أو وجدت فيهم دواعي الأغراب والتفنن في الدين لأجل الفخار[59]. وبعد أن يعرض صوراً من اختلاف الاجتهادات بين أئمة المذاهب، ويأخذ من كيفيات الصلاة مثلاً، يقول: فعلى هذا لا أرى من مانع أن نترك النقول المتخالفة، خصوصاً منها المتعلق بالبعض القليل من الأصول، ونجتمع على الرجوع إلى ما نفهمه من النصوص، أو ما يتحقق عندنا حسب طاقتنا أنه جرى عليه السلف، وبذلك تتحد وجهتنا، ويتسنى لنا الاتفاق على تقرير ما نقرره، ويقوى الأمل في قبول الأمة منا ما ندعوها إليه[60].

فدعوة الكواكبي إلى إتباع منهج السلف تتمحور على ترك خلافات المذاهب في الفروع، انطلاقاً من قوله تعالى: "أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه"[61] وقد اتخذ من عقيدة التوحيد نبراساً لتوحيد الأمة وسبباً لجمعها والتوفيق بين طوائفها، لكن ينبغي ألا تستغل هذه الدعوة لعدم الاسترشاد بالمذاهب الفقهية من قبل الجهلة المتمسحين بالعقيدة الإسلامية، الظانّين بأنفسهم ظن السوء!! بأنهم صاروا علماء أفقه من أئمة المذاهب الأربعة المعتمدين عند أهل السنة، الذين أجمعت الأمة عبر تاريخها على أنهم متصدروا مذاهبهم لعلمهم وفضلهم، وأقرت لهم ببلوغهم رتبة الاجتهاد، وبالتالي تلقت اجتهاداتهم بالقبول والإتّباع، وقد اكتسبوا هذه المكانة بعد تحقق شروط الاجتهاد فيهم، وفق ما قرره علماء الأصول[62]. وذكروا ذلك في سياق الحديث عنهم[63].

د) الدعوة إلى الاعتدال والأخذ بالمنهج الوسطي في فهم العقيدة والأحكام الشرعية الإسلامية: عبر الكواكبي عن هذه الاعتدال والاستيعاب الدقيق لمقاصد العقيدة الإسلامية مرات عدة في اجتماعات أم القرى، على لسان مندوبي البلدان الإسلامية، من ذلك قوله وهو يشرح الشروط الواجب توفرها في العلماء المجتهدين، وهم الذين عبر عنهم بالطبقة الأولى، والذين يجب أن تتوفر فيهم صفات خمس، أولها: المعرفة الدقيقة باللغة العربية، وثانيها :الإتقان لقراءة القرآن وتجويده ومعرفة كل ما يتعلق بعلومه معرفة موسعة، وثالثها:أن يكون ضالعاً بالسنة النبوية وعلوم الحديث وكتب السنة ومتعلقاتها، ورابعها: أن يكون واسع الاطلاع على سيرة النبي صلى ا عليه وسلم وسيرة أصحابه وفقهم من كتب السيرة والتاريخ، وختم بالخامسة التي تشدد على التوسط والاعتدال في تلقي الأحكام، وفي انتهاج منهج أهل السنة والجماعة وجمهور المسلمين عبر تاريخهم الطويل، وفي الابتعاد عن الغلو والتشدد، ونبذ كل ما لدى الفئات والمذاهب والطوائف الإسلامية من غرائب ونقاط خلاف، وأجمل ذلك بقوله: أن يكون صاحب عقل سليم فطري، لم يفسد ذهنه بالمنطق والجدل التعليميين والفلسفة اليونانية والإلهيات الفيثاغورسية، وبأبحاث الكلام وعقائد الحكماء ونزعات المعتزلة، وإغرابات الصوفية وتشديدات الخوارج وتخريجات الفقهاء المتأخرين، وحشويات الموسوسيين[64] وتزويقات المرائين، وتحريفات المدلسين[65].

ويستدل بآراء الأئمة الأربعة في انتهاجهم النهج المعتدل وفي إتباع الحق دون التعصب للرأي، ويرى أن هذا هو غاية العقيدة الإسلامية في تقرير الأحكام الشرعية والعمل بها، ويقول: فهذا الإمام مالك رضي ا عنه يقول:ما من أحد إلا وهو مأخوذ من كلامه ومردود عليه، إلا رسول ا صلى ا عليه وسلم[66].

ثم ينقل عن أبي حنيفة الشيء ذاته ويقول: وحكي أن أبا حنيفة رضي ا عنه كان يقول: لا ينبغي لمن لا يعرف دليلي أن يأخذ بكلامي، وكان إذا أفتى يقول: هذا رأي النعمان بن ثابت، يعني نفسه، وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن منه فهو أولى بالصواب[67].

ويتكرر الموقف نفسه عند الشافعي حين ينقل عنه قوله:

إذا صح الحديث فهو مذهبي، وفي رواية "إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط، وأنه قال يوماً للمزني: يا إبراهيم لا تقلدني فيما أقول، وانظر في ذلك لنفسك فإنه دين، وكان يقول: لا حجة في قول أحد دون رسول ا صلى ا عليه وسلم[68].

وعند استقراء آراء الإمام أحمد بن حنبل، فإنها تتوافق وآراء أسلافه من الأئمة في تحديد مواقفهم بالنسبة لأخذ العقيدة من مصادرها وفي مقارنة قوله بالمصادر الرئيسة للعقيدة، ويورد الكواكبي عنه قوله: "أنه - أي الإمام أحمد - رأى بعضهم يكتب كلامه فأنكر عليه، وقال: تكتب رأياً لعلّي أرجع عنه، وكان يقول: ليس لأحد مع ا ورسوله كلام. وقال لرجل: لا تقلدني ولا تقلدن مالكاً ولا الأوزاعي ولا الحنفي ولا غيرهم، وخذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة[69].

ثم يعرج الكواكبي على التشدد في فهم العقيدة وتطبيقاتها في العبادات والسلوكيات، ويبدأ بتحليل أسباب التشدد والغلو بأسلوب منطقي عقلاني، ويبين حالة التشويش الواقع فيه المسلمون، فيقول: وجد فينا علماء كان أحدهم يطلع في الكتاب أو السنة على أمر أو نهي فيتلقاه على حسب فهمه، ثم يعدي الحكم إلى أجزاء المأمور به أو المنهي عنه، أو إلى دواعيه أو إلى ما يشاكله، ولو من بعض الوجوه، وذلك رغبةً في أن يلتمس لكل أمر حكماً شرعياً، فتختلط الأمور في فكره، وتشبه عليه الأحكام، لاسيما من تعارض الروايات، فيلتزم الأشد ويأخذ بالأحوط ويجعله شرعاً!! ومنهم من توسع فصار يحل كل ما فعله أو قاله الرسول صلى ا عليه وسلم، على التشريع والحق... ومنهم من تورع فصار لا يرى لزوماً لتحقيق معنى الآية، أو للتثبت في الحديث إذا كان الأمر من فضائل الأعمال، فيأخذ بالأحوط فيعمل به فيقع في التشديد، ويظن الناس منه ذلك ورعاً وتقوى، ومزيد علم واعتناء بالدين، فيميلون إلى تقليده ويرجحون فتواه على غيره، وهكذا بالتمادي عظُم التشديد في الدين حتى صار إصراً وأغلالاً[70]. وبعد أن يذكر الآيات والأحاديث التي تدعو إلى اليسر والتخفيف، وتنهى عن الغلو والتشدد، مثل قوله تعالى وهو يذم أهل الكتاب مخاطباً إياهم: لا تغلوا في دينكم[71]، يورد الحادثة المشهورة والتي ذكرتها كل كتب السنة، والواردة في الحديث الصحيح، أن النبي صلى ا عليه وسلم أنكر على عبد ا بن عمرو بن العاص ورهط من الصحابة معه إلزامهم أنفسهم قيام الليل وصيام النهار واجتناب النساء، وقائلاً لهم: أما وا إني لأخشاكم وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأنكح النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني[72].

هـ) تنقية العقيدة والعبادات من بدع المتصوفة ومظاهر الشرك: كان لانتشار الطرق الصوفية على اختلاف مسمياتها في البلاد العثمانية بشكل عام، وفي بلاد الشام بشكل خاص، وما يقوم به أتباع هذه الطرق من ممارسات وتصرفات، ومن حركات تخالف جوهر العقيدة الإسلامية، وتتنافى مع روح الشريعة ومقاصدها، دور الصدمة في إثارة كوامن الكواكبي، حيث هاله ما كان يرى في مجتمعه من صور البدع والشرك وتقليد النصارى في مظاهرهم، وعاداتهم، مما دفعه للتحرك والسعي لتغيير الواقع المنحرف في أداء حلقات الذكر، وما يرافقها من طقوس وحركات يراها بنفسه مشابهة وإتباعاً وتقليداً لبعض ما يقوم به النصارى من مواكبهم الكنائسية وفي طقوسهم التعبدية[73]، سيما وأن هذه المظاهر تتعلق بأساس العقيدة الإسلامية، وهو التوحيد، من خلال مجالس الذكْر، وبالتالي تعد بعض هذه الزيادات والمخالفات الشرعية، مما قد يدخل في الشرك، وتعد من المظاهر الشركية، لاسيما إن كانت تخالف نصوصاً شرعية صريحة وبينة الوضوح، أو أنها بدرت ممن يتمسحون بالمظاهر الشرعية من ذوي العمائم واللحى، ومن ذوي اللباس الشرعي الذي كان آنذاك ينال غاية الاحترام والتبجيل من عامة الناس، لأن المتعممين يمثلون الشريعة الإسلامية السمحة من ناحية، ومن ناحية ثانية تحترمه الدولة العثمانية وتوليه كل التكريم والتعظيم، شأنه شأن المكانة التي تحظى به الشريعة ذاتها، فهذه الدولة دولة إسلامية على مذهب أهل السنة، ومبرر حكمها وسيادتها على البلاد الإسلامية أنها تطبق الشريعة الإسلامية، وأنها تحمل راية الخلافة الإسلامية وصاحبة الولاية على كافة ديار الإسلام، ولأجل هذا شجعت ودعمت كافة المظاهر الإسلامية، وظللت برعايتها كل من يعلن التزامه بأحكام الشريعة في البلاد الإسلامية، ومن هؤلاء المتصوفة الذين في غالبيتهم يأخذون بظواهر الأمور، ولا يطبقون الأحكام الإسلامية عن وعي وعلم وفقه بالشريعة، لقلة درايتهم بها، إذ أن من له أدنى معرفة بالأحكام الشرعية يكون قادراً على التمييز بين الحرام والحلال، ويبتعد عن المخالفات والمحظورات، خاصة فيما يتعلق بالعقيدة، لأن ذلك قد يتداخل مع الشرك ويتنافى مع معاني الإيمان، ويفسد عقيدة المسلم ويخرجه من دائرة الإسلام، دون علم ووعي، نظراً لجهله بالأحكام الشرعية، لهذا كله كانت صورة ما يجري حول الكواكبي من مخالفات المتصوفة لمسائل العقيدة ولأداء العبادات، واضحة في ذهنه، يؤلمه ما يراه وبموافقة السلطات الرسمية، على أن ذلك تطبيق للإسلام وتقوية لالتزام الناس

بأحكامه، ولذلك ثار ثورة لا هوادة فيها على ما يعتقد أنه مخالفات للعقيدة، سيما وأن ذلك يصدر عن بعض المتعممين الذين يصفهم بالجهلة، وأفرد لهم صفحات خاصة في كتابه أم القرى وهو يحاججهم ويصحح مسارهم، ويبين أخطاءهم وممارساتهم، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن بعض أجداد الكواكبي وأفراد أسرته كانوا من المتصوفة، ولهم طريقة صوفية معروفة في مدينة حلب التي تنتشر وتكثر فيها الطرق الصوفية والزوايا والتكايا، وهي من أكثر مدن بلاد الشام تديناً وكثرة مساجد، لكن الكواكبي على الرغم من تربيته الدينية والتزامه ومظهره الشرعي، فإنه أخذ الإسلام وتشرب العقيدة النقية من علماء وفقهاء تربى على أيديهم أثناء تلقيه العلم في المدرسة الكواكبية وغيرها من المدارس الشرعية، لذا فإنه يصدر عن فهم شرعي وفقه للأمور لا يمكن أن يقبل معهما ما يراه من مخالفات، حتى وإن كان آباؤه وأجداده من المتصوفة، فقد أشار الطباخ في إعلام النبلاء[74] أن جد الكواكبي المسمى محمد أبي يحيى الكواكبي، كان يعمل حداداً بالمسامير الكواكبية، ثم فتح الله عليه فسلك طريق الصوفية وصارت له شهرة زائدة، حتى يسير في طرقات حلب فيهتم الناس بتعظيمه وتقبيل يديه، وعرفت طريقته بالطريقة الكواكبية، وهي متصلة بطريقة الشيخ عبد القادر الكيلاني[75].

ومن هنا فإن الكواكبي لا يعترض على التصوف كتصوف، بل يقف بالمرصاد لممارسات المتصوفة الخاطئة، خاصةً تلك التي تُدخل في الدين ما ليس منه، بمعنى أنه يحارب تلك الزيادات في العقيدة والعبادات، عملاً بالحديث الشريف الذي يدعو العلماء والمصلحين لرفضها واعتبارها دخيلة على الدين، وهو الحديث الصحيح الذي روته عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد، وفي رواية لمسلم: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد[76] وإدراكاً لصريح هذا النص النبوي في النهي عن إحداث أو زيادة أي شيء على أصول الدين وثوابت العقيدة الإسلامية، نجده يؤكد هذه القواعد الثابتة:

ومن أهم قواعد ديننا أنه محظور علينا أن نزيد على ما بلّغنا إياه رسول الله أو ننقص منه أو نتصرف فيه بعقولنا، بل محتم علينا أن نتبع الصريح المحكم من القرآن، والواضح الثابت مما قاله الرسول أو فعله أو أقره، وما أجمع عليه الصحابة[77].

ثم يبدأ يفند آراء المتزيدين المتصوفة ويتصدى للبدع ولمظاهر الشرك التي يقوم بها هؤلاء الذين يسميهم المدلسين، من دراسته لأسباب الفتور في الأمة، وتحليله لهذه الأسباب وتشخيص المرض، ومن ثم ليعمل على معالجته بالطرق الإصلاحية التي يراها دواء لهذا الداء، وبعد بيان أسلوب المتصوفة في تحريفاتهم وزياداتهم، ينتقل لتعداد حالات مخالفة للعقيدة الإسلامية، وبيان صور البدع والانحرافات هذه العقيدة والزيادات عليها، وذلك كما يلي:

أ- التشبه باليهود والنصارى وتقليدهم

وهذا يتنافى مع عقيدة الإسلام التوحيدية ومخالف لها، ولا مجال للاجتهاد هنا في قبول أو عدم قبول ذلك، لأنه لا اجتهاد في موضع النص، والنص الصريح الثابت في تحريم ذلك هو قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي يستشهد به الكواكبي لتأييد رأيه، حيث يقول مبيناً وجه التحريم:[78]

وبالإمعان نجدهم قد جاءوا مصداقاً لما ورد في الحديث الصحيح: لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لاتّبعتموهم، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى، قال: فمن؟.[79]

ثم يفَصل صور الاقتباس ذات المساس المباشر بالعقيدة، عن اليهود والنصارى، ويقول إن هؤلاء المدلسين اقتبسوا ما هنالك كله أو جلّه عن أصحاب التلمود وتفاسيرهم ومن المجامع المسكونية ومقرراتها، ومن البابوية ووراثة السر، ومن مضاهاة مقامات البطاركة والكردينالية والشهداء وأسقفية كل بلد... وأخذوا التبرك بالآثار كالقدح والحربة من احترام الذخيرة وقدسية العكاز، وكذلك إمرار اليد على الصدر عند ذكر بعض الصالحين من إمرارها على الصدر لإشارة التصلب... ورفع الأعلام من حمل الصلبان، وتعليق ألواح الأسماء المصدرة بالنداء على الجدران من تعليق الصور والتماثيل، والاستفاضة والمراقبة من التوجه بالقلوب انحناء أمام الأصنام، ومنع الاستهداء من نصوص الكتاب والسنة، من حظر الكهنة الكاثوليك قراءة الإنجيل على غيرهم، وسد اليهود باب الأخذ من التوراة وتمسكهم بالتلمود، إلى غير ذلك مما جاء به المدلسون.

ب- ادعاء الكرامات والتصرف بالمقادير وادعاء الزهد والورع الباطل

وفي ذلك يقول، بذلك وأمثاله نجح المدلسون فيما يقصدون، لا سيما بدعوى فئة منهم الكرامة على الله، والتصرف بالمقادير، وباستمالتهم العامة بالزهد والكذب والورع الباطل والتقشف الشيطاني وبتزيينهم لهم رسوماً تميل إليها النفوس الضعيفة، سموها آداب السلوك، ما أنزل الله بها من سلطان، ولا عمل بها صحابي أو تابعي، ظاهرها أدب وباطنها تشريع وشرك، وقد تجاسروا على وضع أحاديث

مكذوبة أشاعوها في مؤلفاتهم،... وجلبوا الناس بالترغيب والترهيب... وقد قام لهؤلاء المدلسين أسواق في بغداد ومصر والشام وتلمسان قديماً، ولكن لا كسوقها في القسطنطينية منذ أربعة قرون حتى الآن، صارت فيها هذه الأوهام السحرية والخزعبلات كأنها هي دين معظم أهلها، لا الإسلام... فاقتبس لهم المدلسون كثيراً مما بيّناه وطبقوه على الدين، وإن كان الدين يأباه، وزينه لهم الشيطان بأنه من دقائق الدين وآدابه... ونالوا بسحرهم نفوذاً عظيماً، به أفسدوا كثيراً في الدين، وبه جعلوا كثيراً من المدارس تكايا للبطّالين الذين يشهدون لهم زوراً بالكرامات المرهبة، وبه حولوا كثيراً من الجوامع مجامع للطبّالين، وبه جعلوا زكاة الأمة ووصاياها رزقاً لهم، وبه جعلوا مداخيل أوقاف الملوك والأمراء عطايا لأتباعهم، وبذلك ضاق على العلماء الخناق، لا رزق ولا حرمة، وكفى بذلك مضيعاً للعلم والدين، لأنه قد التبس على العامة علماء الدين الأذلاء الفقراء من هؤلاء المدلسين الأغنياء الأعزاء، فتشوشت عقائدهم وضعف يقينهم، فضيع الأكثرون حدود الله وتجاوزوها، ففسدت دنياهم واعتراهم هذا الفتور(80).

فالكواكبي بهذا التشخيص الدقيق والصريح يرسم صورة الواقع المتخاف في المجتمع الإسلامي في عصره، ويبين كيف انقلبت الموازين عند الناس بفعل تصرفات هؤلاء الصوفيين الجهلة، بسبب فهمهم الخاطئ والقاصر لمسائل العقيدة وللآداب والمسلكيات الإسلامية، حتى عم المرض جسم الأمة، وصار الفتور والانحطاط أمراً عاماً مألوفاً، تطبعت النفوس عليه وتأصل فيها، وكأنه قدر محتم لا خلاص منه، يؤلمه كثيراً فيتساءل كيف الخروج من هذا الداء الذي يراه متجلياً في العلماء الرسميين، ويقول: فما بال الزمان يضن علينا برجال ينبهون الناس ويرفعون الالتباس، وعندي أن داءنا الدفين: دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين، وبعبارة أخرى تحت ولاية الجهال المتعممين(81).

جـ - تعظيم القبور واتخاذها مزارات يعظمونها كالأصنام ويمارسون صوراً من الشرك عندها

ويشرح هذا بقوله: إن حالة السواد الأعظم من أهل القبلة في غير جزيرة العرب، تشبه حالة المشركين من كل الوجوه، فمنهم الذين استبدلوا الأصنام بالقبور، فبنوا عليها المساجد والمشاهد، وأرخَوا عليها الستور، يطوفون حولها مقبلين مستلمين أركانها، ويهتفون بأسماء سكانها في الشدائد، ويذبحون عندها القرابين، يهلّ بها عمداً لغير الله، وينذرون لها النذور، ويشدون للحج إليها الرحال، ويعلقون بسكانها الآمال، يستنزلون الرحمة بذكرهم وعند قبورهم، ويرجونهم بإلحاح وخضوع، ومراقبة وخشوع، أن يتوسطوا لهم في قضاء الحاجات وقبول الدعوات، وكل ذلك من الحب والتعظيم لغير الله، والخوف والرجاء من سواه(82). وموقف الكواكبي في هذا يتفق مع الأحاديث النبوية الشريفة التي نهت عن بناء القبور أو اتخاذها مساجد أو القصد إليها بالزيارة.

د- اتخاذ الألواح والصور والتماثيل والاستعانة بغير الله تعالى ودعائه

ويسرد صوراً من هذه المخالفات للعقيدة بقوله: ومنهم من استعاضوا ألواح التماثيل عند النصارى والمشركين بألواح فيها أسماء معظميهم، مصدرةً بالنداء تبركاً وذكراً ودعاء، يعلقونها على الجدران في بيوتهم، بل في مساجدهم أيضاً، ويتوجهون بها الأعلام من نحو: يا علي، يا شاذلي، يا دسوقي، يا رفاعي، يا بهاء الدين النقشي، يا جلال الدين الرومي، يا بكتاش ولي!! ومنهم ناس يجتمعون لأجل العبادة بذكر الله وبإنشاء مقامات شيوخية، تغالوا فيها بالاستعانة بشيوخهم والاستمداد منهم بصيغ لو سمعها مشركو قريش لكفّروهم، كقولهم:

اللهـم يا رفاعـي إنني
أنا المحسوب أنا المنسوب
رفاعـي لا تضيـعني
أنا المحسوب أنا المنسوب

إلى نحو ذلك مما لا يشك فيه شاك أنه من صريح الإشراك الذي يأباه الدين الحنيف.

هـ - ابتداع أحكام في الدين سموها علم الباطن أو علم الحقيقة أو علم التصوف

ويكف زيف دعاويهم بقوله: ابتدعوا أحكاماً في الدين سموها علم الباطن أو علم الحقيقة أو علم التصوف، علماً لم يعرف منه الصحابة والتابعون وأهل القرون الأولى، المشهود لهم بالفضل في الدين، علماً نزعوا مسائله من تأويلات المتشابه من القرآن، وانتزع هؤلاء المداجون أيضاً بعض تلك الزيادات من مشكل الأحاديث والآثار، ومن الأحاديث التي وصفها أساطينهم إغراباً في الدين، لأجل جذب القلوب(83).

و- اختراع عبادات وقربات لم يأت بها الإسلام

ويرى في هذا اتهاما للإسلام ومخالفةً لأمر الله بإكمال هذا الدين، وذلك بقوله: فكأن الله تعالى ترك لنا ديناً ناقصاً فهم أكملوه، أو كأن الله جل شأنه لم ينزل يوم حجة الوداع: "

اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً". الآية (3) سورة المائدة. أو كأن النبي صلى ا عليه وسلم لم يتمم كما يزعمون تبليغ رسالته، فهم أتموها لنا... وهل ليس من الكفر بإجماع الأمة اعتقاد أن النبي عليه السلام نقص التبليغ، أو كتم أو أسر شيئاً من الدين[84].

ز- ادعاء الكهانة وعلم الغيب وأداء حركات تنافي العقيدة الإسلامية

وفي هذا يقول مستنكراً: ومنهم جماعة اتخذوا دين ا لهواً ولعباً، فجعلوا منه التغني والرقص ونقر الدفوف ودق الطبول ولبس الأخضر والأحمر، واللعب بالنار والسلاح والعقارب والحيات، ومنهم خلفاء كهنة العرب، يدعون الغيب بالاستخراج من الجفر والرمل وأحكام النجوم، والنظر في الماء والسماء والودع، أو باستخدام الجن والمردة، إلى غير ذلك من صنائع التدليس والإيهام والخزعبلات... فهذه حالات السواد الأعظم من الأمة، وكلها إما شرك صراح، أو مظنات إشراك، حكمها في الحكمة الدينية حكم الشرك بلا إشكال، وما جر الأمة إلى هذه الحالات الجاهلية، أو إلى الشرك الأول، إلا الميل الطبيعي للشرك، مع قلة علماء الدين وتهاون الموجودين في الهدى والإرشاد[85].

وينهي الكواكبي حديثه عن المتصوفة وعن الزيادات التي أدخلوها في العقيدة وفي العبادات والآداب الإسلامية، بالإرشاد إلى النهج الصحيح الذي ينبغي أن يكون عليه كل مسلم، وبخاصة هؤلاء المتصوفة، والذين كثيراً ما أطلق عليهم المدلسين، جراء تدليسهم على الناس دينهم وعقيدتهم، خاصة في مجالات التوحيد والذكر تعالى، ويقدم ذلك عبر الأسلوب الحواري الإصلاحي الذي سلكه خلال المناقشات والمداولات التي أجراها على ألسنة مندوبي البلاد الإسلامية في اجتماعات مؤتمر أم القرى، وذلك من أجل تحقيق الغاية التي أرادها من هذه المداولات، ألا وهي استجلاء أسباب فتور الأمة، ووضع الحلول والمقترحات التي تقوي عزيمتها وتعينها على النهوض من وهدتها، ولهذا يقول على لسان أحد خلفاء الطريقة النقشبندية بأسلوب تعليمي توجيهي لما يتمنى أن يكون عليه المتصوفة الحقيقيون، حتى يكون مسلكهم في التصوف شرعياً وصحيحاً ومنسجماً مع عقيدة الإسلام وشريعته: إن طريقتنا من أقرب الطرائق للإخلاص، وأقلها انحرافاً عن ظاهر الشرع، وهي مؤسسة على الذكر القلبي، وإني لم أكن أفكر قط أن الذكر وقراءة الورد على وجه راتب، فيه مظنة البدعة أو الزيادة في الدين، ولا أن المراقبة والاستمداد من أرواح الأنبياء والصالحين، فيها مظنة الشرك، إلى أن حضرت هذه الاجتماعات المباركة، فسمعت وقنعت وأقلعت، على إني عزمت على أن أتلطف في الأمر بالنصيحة والموعظة الحسنة، عسى أن أوفق لهداية جماهير النقشبندية، وإلى تصحيح وجهتهم، بأن يذكروا ا قلباً ولساناً قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، بدون هيئة أو كيفية معينة، متى شاءوا وأردوا بدون وقت مرتب، فُرادى ومجتمعين بدون تداع[86].

فهو يريد إذاً الالتزام بمنهج السلف الصالح في فهم العقيدة، وسلوك طريق رجال التصوف الأوائل الذين أرسوا قواعد هذا العلم على أسس شرعية نابعة من تتبعهم لسيرة الصحابة والتابعين في كيفية أداء الأحكام الشرعية والعبادات والأذكار، ومن التمسك بعقيدة الإسلام الصافية، وفق فهم سلف الأمة الدقيق لجزئيات هذه العقيدة.

الخاتمـة

تناول هذا البحث عقيدة المفكر الإسلامي والمصلح الاجتماعي عبد الرحمن الكواكبي، والمنهج الذي اختطه لنفسه في تحليل أسباب انحطاط المسلمين وفتورهم، ومن ثم تلمس سبل الإصلاح ووسائله، حيث يرى الكواكبي أن الأمة الإسلامية قد ركنت إلى الدعة والتقليد، واعتراها اليأس والجمود، جراء اقتناع السواد الأعظم من أبنائها بالعقيدة الجبرية والقَدَرية، ورأى أن المتصوفة الذين يمثلون الأكثرية في المجتمعات الإسلامية، على تعدد طرقهم ومشاربهم، هم حملة العقيدة التزهيدية الاتكالية، ولذلك شدد النكير على منهجهم الاتكالي القائم على القنوع بالواقع المتردي، والإتباع الأعمى لقادتهم، وأقام منهجه الإصلاحي على مجموعة أسس تتمثل في تصحيح العقيدة ومفاهيمها في نفوس الناس، واللجوء إلى استخدام العقل وتوظيف طاقاته في النظر والاجتهاد في الأمور، مع الحذر من التمادي في هذا الاستخدام، كي لا يدخل الفرد المسلم والأمة من بعده في مزالق الهوى وتحكيم العقل في الشرع، وإنما الموازنة بين الفهم الصحيح والإتباع العقلاني الراشد لأئمة المذاهب الفقهية في فهم العقيدة وتطبيق الشريعة، على أن يكون التجديد والنهوض أساس كل عمل، وأن تكون وحدة المسلمين والابتعاد عن الخلافات في الفروع، أسمى الغايات وأكثرها إلحاحا لمحاربة التشرذم والتعصب للمذهبية الجامدة، كما تناول هذا البحث في محاوره البدع والعادات التي يرى الكواكبي أن المتصوفة قد أدخلوها في عقيدة الإسلام، والإسلام براء منها، وأرجع قسماً كبيراً منها إلى ما وقعت

فيه الأمة في تقليد الأمم السابقة، وتتبع انحرافاتها في أديانها، وخاصة اليهود والنصارى، منبهاً إلى النصوص الشرعية الصحيحة التي نهت عن ذلك، داعياً إلى إتباع منهج السلف الصالح في فهم العقيدة، وأن هذا المنهج يقوم على الوسطية والاعتدال ونبذ التشدد والغلو في الدين، شارحاً بالأدلة الشرعية والشواهد التاريخية، من السيرة النبوية وسيرة الصحابة والتابعين، جوانب هذا المنهج، وأنه في الأساس يبنى على ترك الشرك با ، والتمسك بأصول عقيدة التوحيد، وهي القرآن والسنة وإجماع الصحابة، وخلص هذا البحث إلى أن عقيدة الكواكبي عقيدة نقية صافية تدعو للعودة إلى النبع الصافي للإسلام، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة، وترك العقائد المنحرفة التي التبست على المسلمين.

الهوامـش

(1) انظر: الطحان، أم القرى مؤتمر النهضة الإسلامية الأول، ط1، ص21-24. الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ط2، ص19-22.
- الغزي، عبد الرحمن الكواكبي بطل الحرية وفقيد الشرق، مجلة الحديث، شهرته تبحث في الآداب والتاريخ والعلوم الاجتماعية، السنة(3)، العدد 6-7، ص405-420/ 445- 450.
- كبارة، عبد الرحمن الكواكبي، حياته عصره آراؤه، ط1، ص35-44.
- الدهان، عبد الرحمن الكواكبي، ط5، ص12-32.
- عمارة، عبد الرحمن الكواكبي، ط2، ص13-43.
- الزركلي، الأعلام (8ج)، ط 8، ج3، ص298.
- الطباخ، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشبهاء (7ج) ط1، ج5، ص336، ج7، ص507-524.
- كرد علي، المذكرات (4ج) ط1، مقالة بعنوان: الدم الطاهر، ج2، ص610-612.

(2) بني المرجة، صحوة الرجل المريض، ط8، المقدمة.

(3) كامل، المسألة الشرقية، ص3-4. لبيب، تاريخ المسألة الشرقية، ص4، كبارة، عبد الرحمن الكواكبي، ص9، 15-18. وانظر: محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (2ج)، ط5، ص18.

(3+) الكواكبي، الأعمال الكاملة، ط1، ص78-79/94.

(4) الدهان، عبد الرحمن الكواكبي، ص7-9.

(5) الدهان، عبد الرحمن الكواكبي، ص9-11.
- الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص7-18.

(5+) الأحمد، سقوط الخلافة عرب بلاد الشام والدولة العثمانية، ط1، ص117.

(6) ما تزال هذه المدرسة قائمة إلى الآن باسم ثانوية الكواكبي في الحي الذي اشتهر باسمه حي الكواكبي، ويقع في الطرف الغربي من مدينة حلب، أقيم في منطقتها المتطورة عمرانياً فندق الميريديان وسمي الحي المحيط به حي الميريديان، انظر: القلعجي، عبد الفتاح، حلب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1989، ص292، وص147، حيث المدرسة التي درس فيها والد الكواكبي في حي الجلوم في وسط مدينة حلب.

(7) الدهان، عبد الرحمن الكواكبي، ص17-19/ 33-37.

(8) الدهان، المرجع السابق، ص13.

(9) الكواكبي، أم القرى، ط2، ص 26، 67، 97، 153.

(10) الكواكبي، أم القرى، ص123.

(11) شاكر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ط2، ص181-184.

(12) كرد علي، السيد عبد الرحمن الكواكبي، مجلة المقتطف، م27، السنة (12) ج7، ص623.

(13) الشهرستاني، الملل والنحل (2ج) ج1، ص169/162.
- التركماني، تعريف بمذهب الشيعة الإمامية، ط1، ص10-12.

(14) كرد علي، السيد عبد الرحمن الكواكبي، مجلة المقتطف، م27، السنة (12) تموز 1902م، ج7، ص622- 624. الطباخ، إعلام النبلاء، ج7، 507- 524.
- رشيد رضا، مجلة المنار، ج6، ص237- 240، ج7، يوليو 1902/ ص276-280، الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب (3ج)، ج3، ص406/404.

(15) الكواكبي، أم القرى، ص116.

(16) الكواكبي، أم القرى، ص8.

(17) سورة البقرة، الآية (85).

(18) الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص54-55.

(19) انظر سورة المائدة، الآيات: 44، 45، 47.

(20) سورة التوبة، الآية (31).

(21) رواه الترمذي وأحمد، انظر: الترمذي، الجامع الصحيح حديث رقم 3095، وانظر أحمد بن حنبل، المسند، 378:4 حديث رقم 19400.

(22) الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص35-40.

(23) الكواكبي، المصدر السابق، ص42. الكواكبي، أم القرى، ص28، 106، 143. وانظر: كبارة، عبد الرحمن الكواكبي، ص73.

(24) الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص42-43، برج، عبد

الرحمن الكواكبي، ص122- 123.

(25) الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص44.

(26) الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص44-46.

(27) الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص95.

(28) الكواكبي، أم القرى، ص120.

(29) الكواكبي، المصدر السابق، ص77- 78، وما ذكره في آخر قوله هو جزء الآية رقم (7) من سورة آل عمران، والتي تبدأ بقوله تعالى: "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات، هن أم الكتاب وآخر متشابهات... إلى قوله تعالى: وما يذكر إلا أولوا الألباب".

(30) البخاري، الجامع الصحيح (ج9)، ط1، ج2، ص208.

(31) الكواكبي، أم القرى، ص78-79، والنص القرآني المذكور هو جزء من الآية (44) من سورة الإسراء.

(32) الكواكبي، المصدر السابق، ص79-80.

(33) الكواكبي، المصدر نفسه، ص80، وانظر تفاصيل مناقشة الكواكبي لمعنى الشرك في الأسماء والصفات وتداخل ذلك مع النصارى والوثنية، ص80-89.

(34) صالح، النصوص السياسية في كتاب أم القرى، ط1، ص62.

(35) الكواكبي، أم القرى، ص 13، وانظر: تابييرو، نوربير، الكواكبي المفكر الثائر، ط1، 1968م، ص69، برج، عبد الرحمن الكواكبي، ص126.

(36) الكواكبي، أم القرى، ص109، الدهان، عبد الرحمن الكواكبي، ص62-63.

(37) شاكر، الباعث الحثيث، ص179، 191، 245.

(38) جمعة، انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص11-8، 33-41.

(39) الكواكبي، أم القرى، ص147.

(40) برج، عبد الرحمن الكواكبي، ص124-125.

(41) الجبرية: مأخوذة من الجبر، وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف، فالجبرية الخالصة التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، والمتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً، لذلك فهم يعتقدون أن الإنسان مسير، وأن الله يخلق الأفعال كما يخلق الجمادات. الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص85- 91، الطحان، أم القرى، مؤتمر النهضة الإسلامية الأولى، ص54.

(42) القَدرية، يسمون أصحاب العدل والتوحيد، وهم أنفسهم المعتزلة، ويطلق لفظ القدرية على من يقول بالقَدر خيره وشره من الله تعالى، والجبرية والقدرية صفتان متضادتان، والقدرية يقولون الله قديم بذاته لا بصفاته، لأنه لو شاركته الصفات في القدم لشاركته في الألوهية، لذا عندهم كلام الله محدث مخلوق، وأن العبد خالق لأفعاله خيرها وشرها، وأن الله منزه عن أن يضاف إليه ظلم وشر، وأنه يفعل الخير والصلاح فقط. انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص43-46

(43) عبد الحميد، عقيدة الأفغاني، في: جمال الدين الأفغاني، عطاؤه الفكري ومنهجه الإصلاحي، ط1، ص99-100.

(44) الكواكبي، أم القرى، ص26.

(45) خلف الله، عبد الرحمن الكواكبي، ص94-95، عبد الحميد، عقيدة الأفغاني، ص99.

(46) الكواكبي، المصدر نفسه، ص26.

(47) الكواكبي، المصدر نفسه، ص26.

(48) الكواكبي، أم القرى، ص27، جواد، وزميله، النصوص الفلسفية في كتاب أم القرى، في: سلسلة تصنيف وتبويب مراجع الفكر العربي (1) لأم القرى، ص118.

(49) الكواكبي، أم القرى، ص78.

(50) الكواكبي، المصدر السابق، ص27-28، وانظر أيضاً ص140- 146.

(51) برج، عبد الرحمن الكواكبي، ص89.

(52) الكواكبي، أم القرى، ص140.

(53) كبارة، عبد الرحمن الكواكبي، ص 108.
- تابييرو، الكواكبي المفكر الثائر، ص73، الدهان، عبد الرحمن الكواكبي، ص74- 75.

(54) أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ط1، ص278.

(55) الكواكبي، أم القرى، ص13.

(56) يسير الكواكبي في تحديد مصادر التشريع على منهج علماء الأصول، لكن الشيخ محمد عبده، وهو من معاصري الكواكبي يرى أن هذه المصادر هي القرآن والسنة دون الإجماع، انظر: عبده، محمد، رسالة التوحيد، ط1، ص114-119.

(57) الكواكبي، أم القرى، ص13، وهو يقصد بصريح الكتاب: محكم القرآن، وقد عرفه علماء الأصول بأنه: هو اللفظ الدال على المقصود الذي سيق له، وهو واضح لا يقبل تأويلاً ولا تخصيصاً، وقد اقترن به ما يدل على أنه غير قابل للنسخ، مثل قوله تعالى في جريمة القذف: ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً. انظر: أبو زهرة، أصول الفقه، ط1، ص114.

(58) الكواكبي، أم القرى، ص123، خلف الله، عبد الرحمن الكواكبي، ص37.

(59) الكواكبي، أم القرى، ص13-14.

(60) الكواكبي، المصدر السابق، ص15.

(61) سورة الشورى، الآية (13).

(62) البوطي، اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية، ط3، ص34-39، 68-74. الخضري، أصول الفقه، ط2، ص454-457. أبو زهرة، أصول الفقه، ص356-374.
- الدسوقي، الاجتهاد والتقليد في الشريعة الإسلامية، ط1، ص55-77.

(63) الكواكبي، أم القرى، ص116-120.

(64) الموسويون هم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية سماهم هكذا نسبة إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق الإمام السابع من أئمة الاثنا عشرية.
(65) الكواكبي، أم القرى، ص116-118.
(66) الكواكبي، المصدر السابق، ص121.
(67) الكواكبي، المصدر السابق، ص121
(68) الكواكبي، المصدر السابق، ص121
(69) الكواكبي، المصدر السابق، ص122
(70) الكواكبي، أم القرى، ص95-96.
(71) سورة المائدة، الآية (77)
(72) والحديث مذكور عند البخاري، انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النكاح باب (1) حديث رقم 5063.
(73) الدهان، عبد الرحمن الكواكبي، ص105-107.
(74) الطباخ، إعلام النبلاء، ج5، ص336.
(75) الطباخ، إعلام النبلاء، ج5، ص339.
(76) الحديث متفق عليه، انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالسنة، باب20 حديث رقم 7349، كما أخرجه البخاري في كتاب الصلح، حديث رقم 2697، وانظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب8 حديث رقم 1718.
(77) الكواكبي، أم القرى، ص77.
(78) الكواكبي، المصدر نفسه، ص40-41.
(79) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء باب50 حديث رقم3456، وفي كتاب الاعتصام بالسنة، ورواه مسلم في كتاب العلم، باب3 حديث رقم 2669.
(80) الكواكبي، أم القرى، ص43-45.
(81) الكواكبي، المصدر السابق، ص46، وانظر: ص48-53 يكشف فيها الكثير من المظاهر التي يخالف فيها المتعممون عقيدة الإسلام وأحكامه، تارة عن جهل، وتارة عن وعي، لكن يغلبون المصلحة والدنيا على الالتزام بالعقيدة والشريعة الإسلامية.
(82) الكواكبي، أم القرى، ص88- 89، خلف ا ، عبد الرحمن الكواكبي، ص27.
(83) الكواكبي، أم القرى، ص89- 92.
(84) الكواكبي، المصدر السابق، ص92، وانظر: رشيد رضا، يسر الإسلام وأصول التشريع العام، ط2، ص23-24.
(85) الكواكبي، أم القرى، ص93- 94.
(86) الكواكبي، أم القرى، ص128-129، وص132- 134.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

القرآن الكريم.

البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ/ 869م) الجامع الصحيح (ج9) المكتبة الثقافية، ط1، بيروت. د.ت.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ/ 1153م) الملل والنحل (ج2) تحقيق: محمد سيد كيلاني، 1980م، دار المعرفة، بيروت.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت 774 هـ/ 1372م) تفسير القرآن العظيم (ج4) مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت.

مسلم، مسلم بن الحجاج (ت 261 هـ/ 874م) الجامع الصحيح، إخراج فريق بيت الأفكار الدولية، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، 1998م، نشر: بيت الأفكار الدولية، ط1، الرياض.

مصادر حديثة

الكواكبي، عبدالرحمن، الأعمال الكاملة، تحقيق: محمد جمال طحان، 1995م، نشر: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت.

الطباخ، محمد راغب (ت 1370هـ/ 1951م)، 1926م إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (ج7) المطبعة العلمية، ط1، حلب.

الغزي، كامل بين حسين (ت 1345هـ/ 1926م) نهر الذهب في تاريخ حلب (ج3)، المطبعة المارونية، حلب.

كرد علي، محمد، 1948م، المذكرات (ج4) مطبعة الترقي، ط1، دمشق.

الكواكبي، عبد الرحمن (ت 1320هـ/ 1902م)، 1982م، أم القرى، دار الرائد العربي، ط2، بيروت.

الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد/ تقديم وتعليق: أسعد سحمراني، 1993م، دار النفائس، ط3، بيروت.

ثانيا: المراجع

أمين، أحمد، 1948م، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة.

برج، محمد عبد الرحمن، 1972م، عبد الرحمن الكواكبي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

بني المرجة، موفق، 1996م، صحوة الرجل المريض، دار البيارق، ط8، بيروت.

البوطي، محمد سعيد رمضان، 1984م، اللامذهبية، أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت.

تابييرو، نوربير، الكواكبي المفكر الثائر، ترجمة: علي سلامة، 1968م، دار الآداب، بيروت، ط1.

التركماني، محمد أحمد، 1983م، تعريف بمذهب الشيعة الإمامية، المطابع التعاونية، ط1، عمان.

جمعة، محمد كمال، 1977م، انتشار دعوة الشيخ محمد عبد

الوهاب، نشر: دارة الملك عبد العزيز، بدعم وزارة التعليم العالي، الرياض.
جواد، حسن فاضل، وزميله، 1999م، النصوص الفلسفية في كتاب أم القرى، في: سلسلة تبويب مراجع الفكر العري (1) أم القرى، بيت الحكمة، بغداد.
الدسوقي، محمد، 1987م، الاجتهاد والتقليد في الشريعة الإسلامية، دار الثقافة، ط1، الدوحة.
الدهان، سامي، 1984م، عبد الرحمن الكواكبي، دار المعارف، ط5، القاهرة.
رشيد رضا، محمد، 1956م، يسر الإسلام وأصول التشريع العام، مطبعة نهضة مصر، ط2، القاهرة.
الزركلي، خير الدين، الأعلام (8ج) دار العلم للملايين، ط8، بيروت، 1989م.
أبو زهرة، محمد، 1957م، أصول الفقه، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة.
شاكر، أحمد محمد، 1951م، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت.
صالح، غانم محمد، 1999م، النصوص السياسية في كتاب أم القرى، في سلسلة تبويب مراجع الفكر العربي، (1) أم القرى، بيت الحكمة، بغداد.
الصعيدي، عبد المتعال، المجددون في الإسلام، مكتبة الآداب، القاهرة.
الطحان، محمد جمال، 2002م، أم القرى مؤتمر النهضة الإسلامية الأول، دار الأوائل، ط1، دمشق.
عبد الباقي، محمد فؤاد، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (3ج) المكتبة العلمية، بيروت.
عبد الحميد، محسن، 1998م، عقيدة الأفغاني، في: عطاؤه الفكري منهجه الإصلاحي، تحرير: إبراهيم غرايبة ، حلقة دراسية نظمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرع الأردن، عمان.
عبده، محمد، 1965م، رسالة التوحيد، مطبعة محمد علي صبيح، ط1، القاهرة.
عمارة، محمد، 1988م، عبد الرحمن الكواكبي، دار الشروق، ط2، القاهرة.
القلعجي، عبد الفتاح، 1989م، حلب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت.
كامل، مصطفى، 1898م، المسألة الشرقية، د.ت. مصر.
كبارة، نزيه، 1994م، عبد الرحمن الكواكبي، حياته عصره آراؤه، نشر: جروس برس، ط1، طرابلس، لبنان.
لبيب، حسين، 1921م، تاريخ المسألة الشرقية، دار الهلال، مطبعة الهلال، مصر.
محمد محمد حسين، 1982م ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (2 ج) مؤسسة الرسالة، ط5، بيروت.

ثالثاً: الدوريات

رشيد رضا، محمد (ت 1354هـ/ 1935م) مجلة المنار، م5/ جـ6، حزيران، 1902م، ج7.
الغزي، كامل حسين، عبد الرحمن الكواكبي بطل الحرية وفقيد الشرق، مجلة الحديث، حلب، السنة (3) ع6-7.
كرد علي، محمد، عبد الرحمن الكواكبي، مجلة المقتطف، م27، السنة (12)، 1902م.

Abdul Rahman Al-Kawakebe and His Methodology in Doctrine

Mohammad A. Mohammad*

ABSTRACT

This research sheds the light on the doctrine of Abdel Rahman Al Kawakebee who was one of the reform leaders in Greater Syria (Belad Al Sham) in the second half of the nineteen century, where he introduces a notion about his character, era and their influence on his criticism methodology, however, presents the aspects that Al Kawakebee depend on during his discussion for the issues of doctrine especially the obligation to the virtuous ancestor call which is the Sunni people methodology and to keep away from perverted groups such as Al-Jabreyeh, Al-Kadareyah, the doubtful and the out of order, indeed he indicated to the situation of weakness and degradation that effects the nation due to cascading of safis ways the spread of fear and fables and the availability of ignorance within people however the entry of polytheism into Muslims doctrines for being a way from knowledge and precise understanding of doctrine facts.

The researcher summaries that Al Kawakebee had analyzed the circumstanzes behind the degradation of Muslims where he elaborated this within being away from the pure Islam doctrine, however, he specified the elements of renaissance and prosperity by holding into Islamic invariables and adopting the intellectual Methodology in dealing with the Islamic doctrine, indeed to be moderate in order to gather and unify people upon one base of unification and to keep away from ethnic division.

Keywords: Methodology, Creed, Sunni People Methodology, Aljabreiah, Alkadareiah, Almoshabeha.

* Faculty of Shari'a, University of Jordan, Amman, Jordan. Received on 18/10/2007 and Accepted for Publication on 26/5/2009.